الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أدب الرحلة بين التجسيد والتخييل

رواية حديث عيسى بن هشام للمويلحي – أنموذجًا –

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللّغة والأدب العربي
الشّعبة: الدّراسات الأدبية
تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبين :
- سعيدة لعبيدي
- سليم خريسي

إشـــراف الدكتور:
- عبد الوهاب بويمة

لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
حميـد طريفـــة	أستاذ مساعـد –أ–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	رئيسا
عبد الوهاب بويمة	أستاذ محاضر –ب–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	مشرفاً ومقرراً
قطر الندى بومعيزة	أستاذ مساعد –ب–	الشّاذلي بن جديد –الطارف	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وتقدير

عرفانا بالفضل نوّد أن نسدي شكرنا العميق الّذي ندين به لأستاذنا الدّكتور " عبد الوهاب بويمة " الّذي كان يوجهنا بعين العالم الغيور على العلم وأهله وما قدّمه لنا من علم ووقت وخبرة ما كان إلاّ لدّقته العلميّة ومنهجه الّذي يفيض ثراء وله الأثر البارز في إخراج هذا البحث

وشكرنا العميق موصول لأسرة جامعة الشّاذلي بن جديد الطّارف ومنهم أساتذتنا الأجلاّء أعضاء لجنة المناقشة الموقرين آملين الاستفادة من تقويمهم العلميّ وملاحظاتهم القيّمة

وأخيرا نوّد من صميم وجداننا أن يلقى هذا البحث القبول والرّضا وأن يكون مشعلا على قارعة الطّريق يزيح من حوله الضّباب ويدفع للمزيد من الإقبال مما عجزنا عن الوصول إليه وإن وقع فيه تقصير فهذا جهد المقلّ

وفّقنا الله لما فيه الخير وهدانا لحسن القصد .

إهداء

الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

احمد الله وأشكره على جزيل فضله و واسع نعمه علينا، فبفضله وقوته استطعنا إتمام هذا العمل...

أهدي هذا العمل إلى والدتي الّتي حفزتني طيلة مشواري الدراسي أطال الله في عمرها ورزقها الصّحة والعافية كما أهدي هذا العمل إلى زوجي وأولادي والى روح أبي الطاهرة الذي لطالما تمنى أن يراني في أعلى المراتب

لعبيدي سعيدة

أهدي ثمرة هذا العمل إلى زوجتي الّتي رافقتني منذ البداية

وإلى ابني وابنتي وأختي وجميع أفراد العائلة

إلى أرواح من فقدتهم – رحمهم الله —

خريسي سليم

مقدّمة

مثّل كتاب محمد المويلحي "حديث عيسى بن هشام" لحظة فارقة في الأدب العربي، إذ كان شاهدا على ميلاد كاتب كبير جمع بين ثقافتين وكتب رواية جمعت بين الأصالة والمعاصرة، فيها تناص مع المقامة، وفيها توظيف للتقنيات المتعارف عليها في أدب الرّحلة، وفيها اقتباس من قصة أهل الكهف كما فيها من روح أبي العلاء المعري الذي شغف به في حياته وبعمله الخالد "رسالة الغفران"، فكل هذه الأمور مجتمعة دفعتنا إلى اختيار الرواية موضوعا لبحثنا الذي خصصناه للبحث في مواطن التجسيد والتخييل فيها.

وقد قسمنا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة ،فخصصنا الفصل الأول للجانب النظري تعرضنا فيه إلى مفهوم الرّحلة بوصفها إنجازا وخطابا ،فذكرنا المفهوم والخصائص والأنواع كما بيّنا مفهوم التجسيد ومفهوم التخييل في أدب الرّحلة.

أما الفصل الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي مبرزين مواطن التجسيد ومواطن التخييل في الرواية وتبيان قيمة العمل وأنهينا البحث بخاتمة لخصنا فيها نتائج البحث.

ولقد استعنا بمجموعة من المراجع خدمت الموضوع نذكر منها كتاب شعيب حليفي "الرّحلة في الأدب العربي" وكتاب فؤاد قنديل"أدب الرّحلة في التراث العربي" وكتاب صلاح الدين الشامي"الرّحلة عين الجغرافيا المبصرة".

أما المنهج المعتمد فقد استعنا بآليات الوصف والتحليل المعتمدة في الدراسات الاثنولوجية والسيميائيات السردية كما وظفنا جانب من جوانب المنهج التاريخي.

ولقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات ليس بسبب قلة المراجع كما يدعي البعض بل بسبب التضارب الموجود في تجنيس الأعمال الأدبية ففي عملنا هذا وجدنا عملا روائيا في ثوب مقامة أو هي مقامة في ثوب رحلة بل قد تكون تأريخا مهما لحياة المصريين في زمن ما لكن جاءت من باب التخييل.

إن العمل الجيد لا يموت وإنما يحيا بالقراءات الجادة والمتجددة ونحن لا ندعي الكمال أو الإحاطة بكل جوانب الموضوع فالكمال لله وحده وإنما نرجو أننا قد فتحنا نافذة ولو صغيرة لفهم تراثنا وتبيان مواطن الجمال والخلود فيه.

في الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر لكل من درّسنا وأنار دربنا ولو بكلمة تشجيع وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بالتوجيه والمتابعة.

الفصل الأول

أولا: الرّحلة بين قلق المصطلح وتحديد الخصائص

يولد الانسان ويموت وهو في رحلات دائبة تتعدّد أشكالها بحسب الظروف والأحوال وحتَّى لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الأم إلى دنيا البشر ووفاته ودفنه رحلة من دنيا البشر الى رحم الأرض، فالرّحلة سلوك حضاري يؤتي ثماره اليافعة على الفرد والمجتمع، وسواء أكانت الرّحلة فعلية أم خيالية فشرط الانتقال هو الدعامة الأساسية في الرّحلة والعودة رهانها لأننا نرحل لكي نعود ونحكي، ومنه فلا رحلة دون انتقال وعودة ولا أدب دون حكي.

بيد أن اقتران الرّحلة بالأدب شكّل هاجسا لدى الدارسين لأن الرحالة ليس بالضرورة أديبا كي يكتب أثرا فابن بطوطة مثلا أملى رحلته على ابن جزي فالأسلوب هو أسلوب ابن جزي،كذلك الفروقات الموجودة بين أدب المهجر وأدب الرّحلة لأن أدب الرّحلة يشترط العودة،كذلك التداخل البيّن بين أدب السيرة الذاتية وأدب الرّحلة،وأدب الرّحلة لم يكن أبدا جنسا أدبيا نقيا خالصا بل هو جنس هجين.

ولقد ظهر أدب الرّحلة تحت مسمّيات كثيرة فهو أدب جغرافي وأدب المسالك والممالك وعلم عجائب البلدان وعلم الأطوال والعروض.

وفي تعريفنا العام للرحلة – فعلية أو متخيلة– يكون الانتقال من مكان لآخر هو العنصر الأساس والدعامة الّتي تؤطر الأحداث والأفعال، فالرّحلة هي الانتقال في الفضاء بتعبير تودوروف "، والّذي يؤكد أنَّ هذه القيمة تكمن في الانتقال الداخلي بحيث يتغذى النَّص الرحلي من هذا العنصر"[1]، والرّحلة عند شعيب حليفي هي نّص زمني بامتياز تخلق النّصوص الرحلية المتخيلة أزمنة خارقة تستجيب للبناء العام للرحلة، سواء بالإيهام في الواقع أو بتثبيت زمن الآخرة" .[2]

[1] شعيب حليفي. الرحلة في الأدب العربي ،كتابات نقدية 121 ،ص 317 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1. تعريف الرّحلة :

أ/ لغة: مصدر رحل وتعني السفر من بلد إلى آخر. الجمع رحلات ورحلات ورحل – الرّحلة من الارتحال وتعني انتقال الى مكان آخر[1] .

ب/ اصطلاحا: الرّحلة تعني المضي في السفر بنيّة أي لتحقيق هدف معين ماديًا أومعنويًا فالرّحلة متصلة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، فأوّل رحلة قام بها الإنسان هي رحلة من بساتين الجنة إلى سطح الأرض وإليه أشار قوله تعالى : ﴿ قلنا إهبطوا منها جميعا﴾[2]، فمنذ ذلك التاريخ لم تتوقف رحلات البشر، كماورد لفظ رحلة في القرآن الكريم : ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾[3]،وتوجد أدلة نقلية وأدلة تاريخية على استمرار الرّحلة .

ومن الأدلة النقلية نجد رحلة نوح عليه السلام وأتباعه المؤمنين في السفينة ثابتة بالكتاب والسّنة ، ورحلة موسى عليه السلام من مصر إلى مدين. ورحلة ابراهيم عليه السلام مع زوجته وطفله مسجلة في الكتاب والسّنة ومن الأدلة التاريخية والأثار القديمة أن ملوك مصر ارتحلوا إلى آسيا وغيرهم "[4] ، أما مفهوم الرّحلة عند عواطف محمد يوسف نواب فنجد أنها جاءت بمعنى" السّير والإنتقال والوجهة أو المقصد الّذي يراد السفر إليه وبمعنى دنو

---

[1] معجم المعاني الجامع ، معجم عربي عربي . https://www.almaany.com/ تاريخ الإطلاع 12\3\2024

[2] سورة البقرة ، الآية 38.

[3] سورة قريش، الآية 1_2.

[4] محمد رضي الرحمان القاسمي: الرحلة وأدبها في اللغة العربية دراسة تاريخية دراسات اسلامية –https://darululoom deoband.com/arabicarticles/archives/author

.

المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل"[1] ،ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر .

2. مفهوم الرّحّالة:

مؤنث رحال والرحالة هو الكثير الرّحلة كثير الترحال في البلاد، والتاء للمبالغة.

أما مفهوم أدب الرحلات أو الرّحلة فيعني: مجموعة من الآثار الأدبيّة الّتي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التّي يشاهدها، أو يسّرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد[2]، فالرحالة بذلك ينتقل من مكان إلى آخر ويرصد كلّ ما يراه أو يتعرض له خلال هاته الرّحلة، فأدب الرّحلة بكلّ مستوياته وأبعاده يمثل لونا أدبيا له بواعثه وخصائصه الفكريةّ والجماليّة وأهدافه، وله أدواته الفنيّة ورؤاه المضمونية، وكلّ ذلك يتشكل مع كلّ رحلة أدبيّة وفق غاياتها وقدرة صاحبها ومهارته الأدبية في الملاحظة والرصد ومدى تمكنه من تقنية الكتابة هذه الأخيرة الّتي تجعل نّص الرّحلة يأخذ حيزا متميزا في إطار الإبداع والأدب"[3].

ويعد أدب الرّحلة من أقدم الفنون الأدبيّة الّتي ازدهرت مع مرور الزمن، وتطورت بتطور الثقافات والحضارات وبحسب تعريف "مجدي وهبة " و" كامل المهندس" فان الرّحلة تتضمن السّرد أو وصف مجرد للعادات والسلوك والأخلاق ، وقد يجتزيء الرحالة مرحلة واحدة يسلط عليها الضوء. وفي أدب الرحلات ينقل الرحالة أو الكاتب أيضا عادات

[1] عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض1417 /1996م، ص40-ص41.

[2] المرجع نفسه .

[3] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة، ط1 ، ص.182

وتقاليد وأعراف الشّعوب الّتي تعايش معها، وكل المواقف الّتي تعرض لها أثناء رحلاته الّتي أجراها خلال حياته.

وينطلق أدب الرّحلة من مفارقة، إذ يجمع بين متناقضين :الرّحلة ومجالها المعاينة والتحقيق،والأدب ومجاله التخييل لذا من الصعوبة بمكان إدراج أدب الرّحلة ضمن الأجناس الأدبية الصافية كالشعر مثلا بل إن أساس أدب الرّحلة التهجين والجمع بين أكثر من الجنس فقد يلجأ الرحالة إلى توظيف أجناس كثيرة أثناء تصويره لرحلته،فليس للرحلة شكل ثابت قار بل قد تأتي ضمن أشكال كثيرة على شكل رواية مثلا أو قصيدة أو مقامة.

3. أهداف الرّحلة :

لا يتمثل هدف الرحالة في نقل عادات وتقاليد وطبائع الشّعوب وغيرها بل يكمن هدفها الأسمى في نقل الإحساس بالمكان والتفاعل معه إلى القارئ وفي إطار تنوع وسيلة الانتقال، تظل الرّحلة انجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو اسقاط الفاصل الحاجز بيّن المكان الّذي تبدأ منه، والمكان الّذي تنتهي إليه.

وقد تكون الرّحلة انجازا صعبا وشاقا على الطريق ، بين المكان والمكان الآخر ولكنها تجاوب بكل تأكيد – حاجة الحياة " [1]وقد تكون الرّحلة هواية تستهوي الإنسان أو رغبة ملحة تشبع حاجاته وترضيه ، وقد تكون الرّحلة احترافاً يخدم مصالح الإنسان أوالتزاما وواجبا يلبي حاجاته، "وسواء كانت الرّحلة هواية أو كانت احترافا، فانها لا تتجرد من الهدف وهي تضرب في الأرض"[2] فأدب الرحلات يسعى إلى نقل تجربة السفر إلى مكان جديد وتقديم نظرة ثاقبة للعادات والتقاليد وأنماط الحياة للأشخاص الذين يعيشون هناك. وبصفة عامة

[1] دكتور صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأة المعارف ، ط2 ، 1991، ص 11.
[2] المرجع نفسه.

يهدف أدب الرحلات إلى الاكتشاف والتعلم و زيارةالمعالم الدينية والأماكن المقدسة،وكذلك التوثيق أوالإلهام والترفيه والاثراء الثقافي والذهني.

4. دوافع الرّحلة وأغراضها:

تتعدّد الدوافع الّتي تحمس الإنسان للرحلات وتختلف من شخص إلى آخر ومن قوم إلى قوم ومن عهد الى عهد إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون :

أ/دوافع دينية: كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير إلى الصراط المستقيم وأملا في المغفرة .

ب/دوافع علمية أو تعليمية : بغرض الاستزادة من العلم من منطقة أخرى من العالم ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه و الطب والهندسة والعمارة وغيرها ".[1]

ج/دوافع سياسية: كالوفود و السفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرؤى وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو .

د/دوافع سياحية وثقافية: تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفرلذاته وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر .

هـ/دوافع اقتصادية: وتكون للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر.

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 19 .

و/دوافع صحية :كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من الوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية و نحوها . وقد يكون هربًا من وباء أوطاعون او تلوث .

هـ/دوافع أخرى: كالسخط على الأحوال، وضيق العيش أو الهروب من عقوبة".[1]

5.أنواع الرحلات :

يمكن النظر إلى أنواع الرحلات من حيث رصدها للفضاء المرتحل إليه لأن الخلاصات الّتي تقدمها الملاحظة حوّل المكان في فترة زمنية ذات دلالّات قد نفسر بعضا من طبيعة الرّحلة في الأدب العربي.

ويمكن تحديد خمسة أشكال بحسب اتجاهاتها إلى المكان المرتحل إليه:

- رحلات داخلية في نفس بلد الرحالة.
- رحلات خارجية في المحيط الاسلامي.
- رحلات خارجية في المحيط غير الاسلامي (المسيحي).
- رحلات استيهاميّة دنيويّة .
- رحلات استيهاميّة آخروية.

وتبقى النصّوص الرحلية الداخلية محدّودة جدا رغم أهميتها واختلافها ،أما الرحلات الخارجية الى المحيط الاسلامي (دار الاسلام) فهي النوع الأكثر شيوعا، أما الرحلات الخارجية للبلدان غير الاسلامية فهي قليلة ومحدودة الأهداف.

[1] المرجع نفسه ، ص20 .

أما رحلات التجارة أو السفارة أو المعرفة فتمثلها رحلات ابن فضلان وسلام الترجمان، أما بخصوص الرحلات الاستيهاميّة الدنيوّية فهي النصّوص التخيّلية الّتي تنبني ذهنيا ،أما الرحلات الاستيهاميّة الآخروية فهي الشكل الّذي تكتب به رحلة تحكي عن عالم الآخرة".[1]

6. خصائص أدب الرحلات :

يتميز أدب الرحلات عن غيره من الفنون الأدبيّة الأخرى بوجود مجموعة من الخصائص، من أهمها : الاعتماد على الحوار ، واستخدام الأسلوب القصّصي، والاعتماد على الوصف بشكل كبير لإيضاح تفاصيل الأماكن الّتي تتم زيارتها ومزج الجد بالهزل وشيوع عنصر الفكاهة في النصّوص الأدبيّة للرحلات، وتضمين الشعر وبعض آيات القرآن الكريم بغرض التأكيد على حقيقة ما يصفه الكاتب ،وهناك العديد من المؤلفات الّتي تناولت أدب الرحلات حيث عمد مؤلفوها إلى ذكر صفات مجموعة من البلدان الّتي تمّت زيارتها من قبلهم.

إن أدب الرّحلة يمتاز عن غيره من الفنون الأدبية بمجموعة من الخصائص وهي سمات تكاد تحضر في جلّ النصّوص الرحلية إلا أن الفرق يتجلى في تفاوت الرحالين بالاستعانة بهاته العناصر ومنها : [2]

- **هيمنة بنية السفر** : وهي الخاصية الّتي تؤطر الأحداث وتنظمها.
- **الواقعية** : الرحالة الراوي رجل واقعي عاش فترة زمنيّة معروفة كما أن الأشخاص الّذين يتحدث عنهم هم كذلك حقيقيون عاشوا في زمن معلوم ومكان معروف ، فالأماكن الّتي يصفها أماكن واقعية.

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص 124 ص125.

[2] المعجم الوسيط، مطبعة مصر 1961، ج1 مادة (خبر) ، ص222.

- **الذاتية** : بما أن ذات الرحالة هي من قامت بفعل الرّحلة فيلزم ذلك حضور ذاته في رحلته.
- **الحكي بضمير المتكلم مفردًا أو جمعاً** : وهنا تتجلى الذات في أسلوب الكتابة.

الرجوع إلى نقطة الانطلاق : فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه، ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود معه إلى نقطة الانطلاق ، وهكذا يدور الخطاب مع السفر وينتهي من حيث بدأ.

7.مفهوم الأثنولوجيا وعلاقتها بأدب الرحلات :

ورد لفظ اثنولوجيا كإسم في معجم المعاني الجامع بمعنى " علم الأجناس البشرية وخصائصها وأخلاقها وتفرقها"[1]، أما " كلمة اثنوغرافيا Ethnography فهي كلمة انجليزية مشتقة من المقطعين اليونانيين اثنوس Ethnos يعني سلالة أو ناس أو شعب وجرافين Graphein بمعنى يكتب ، وبهذا يكون معنى الكلمة الكتابة عن الشّعوب".[2]

فهو أحد علوم الإنسان الّذي يختص بوصف الشّعوب ودراسة المظاهر الماديّة للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس، أما عند محمد الجوهرى. وعلياء شكري فالأثنولوجيا تعني " وصف الشعوب وعلم الانسان الوصفي ، ودراسة المظاهر الماديّة والثقافيّة للجماعة في مختلف الأمكنة والأزمنة والّتي تبرز نتاج جهد الإنسان للسيطرة على بيئته الطبيعية "[3] ومن هذا المنطلق تدرك أن الاثنولوجيا تهتم بالدراسة الوصفية الدقيقة لاسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم ، والأدوات والفنون والمأثورات الشّعبية لدى جماعة معينة.فقد أمدتنا كتب الرحلات بالعديد من المعلومات عن البلدان والأقاليم المستمدة

[1] معجم المعاني الجامع ، معجم عربي عربي .ص67

[2] أحمد زكي بدر :معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1987م ص 45.

[3] محمد الجوهري وعلياء شكري: مقدّمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة ط1 ،2008م ص23.

من الملاحظة المباشرة والمعاينة الشخصّية عن البلدان التي زاروها وأقاموا فيها وطبائع أهلها ومعالم حضارتهم وذلك بالاعتماد على عنصر الوصف أو الأثنولوجيا بشكل أساسي وتحري الدقة في الأسلوب القصصي الّذي تجتمع فيه على أساليب الفنون كالقصّة والشعر والمسرح والمقالة الأدبيّة وغيرها .

وبالتالي " فأدب الرّحلة لعب دورا أساسيا في مد مختلف العلوم بالمعلومات والمعارف وقد استفاد التاريخ من تلك الرحلات مثله مثل سائر العلوم، وذلك من خلال تزويدنا بحقائق ومعلومات عن الطرقات والمدن والحضارات ووصف أسلوب الحياة والعادات والتقاليد والقيم، وهو ما يعرف بالأثنوجرافيا الذي يعرفنا بالمجموعات الإنسانية عبر العصور والاثنولوجيا الّتي تهتم تحليل المادة الأثنوجرافية".[1]

لهذا يعد كل رحالة إثنوغرافيا بامتياز لأنه يصف وينقل مشاهداته بخلاف الإثنولوجي الذي لا يكتفي بالوصف بل يلجأ إلى الدراسة والتحليل.

وما يميز أدب الرحلات هو هذا التنوع في الأسلوب من السّرد القصّصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، وقد قام الوصف بدور حيوي في تنشيط السّرد وتحقيق الانتقالات المهمة في الرّحلة"[2]، فنجد من الرحالة من أهتم بوصف الأقاليم وطبائع سكانها ومنهم من أهتم بوصف العادات والتقاليد لأفراد الجماعات الدينيّة والإثنيّة في الأماكن التي زارها ومنهم من جمع بين الاثنين.

وقد اهتم بنصوص الرحلات في التراث العربي أخيرا نقاد الأدب والمهتمون بالعلاقات بين الثقافات والحضارات، والمتتبعون للعجيب والغريب، وقد تميز الرحالة ابن بطوطة بكتاباته الانثروبولوجية الشاملة للوصف الدقيق للحياة اليومية، وبالتالي فعنصر الوصف يعد من أهم

[1] مختار السعيدي لعجال ، مدخل إلى الرحلة وعلاقتها بعلم الأثنوجرافيا ، دراسات تاريخية ،ص 437

[2] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص35.

مكونات الرّحلة، فالرحالة عليه أن يتصف بدقة الملاحظة كي يصف للقارئ الأشخاص ومن يلتقي بهم والأماكن التي زارها وأسماء الأشياء الّتي يراها ويتعرف عليها .

فالوصف أكثر تعبيرا وأنسب معنى حين يتحدث الرحالة عن ترابط المجتمعات وتأثرها ببعضها وتلاقح الحضارات واشتباك ثقافاتها، ونقل عادات السكان وأحوالهم النفسيّة ونظمهم الاجتماعيّة.

فأدب الرّحلة فن نثري ثري حافل بمختلف الألوان والأحوال الإنسانيّة وصفا وتقييدا وتعبيرا وبلاغة ، فقد قدم مادّة غنية بالمعلومات المستندة إلى الملاحظة الشّخصية ،وسبر كثيرا من الأغوار السياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة".[1]

أما مفهوم الاثنوغرافيا اصطلاحا فهي" علم يهتم بوصف الموجودات والمحسوس لواقع الحياة اليومية لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة، متضمنا ذلك مجموع القيم والتقاليد والعادات والآداب والفنون، وكلّ ما يندرج تحت ذلك الكلّ المركب الّذي اصطلح على الإشارة إليه بكلمة ثقافة"،[2] فبفضل رحلات الإثنوغرافيين تم إظهار القارة الأمريكية واكتشاف عالم الإنسان والبعض من الأماكن المغمورة وتم التعريف بها.

وكما أسلفنا "فالأديب الرحالة اثنوغرافي في ظاهره فهو يتفقد البلدان والأماكن ويصف بتصوير معمق المشاهد المؤثرة فيه، وعادات الدول الّتي خطت قدماه أرضها".[3]"ولأن أدب الرحلات يعنى بنقل تفاصيل السفر وتصوير الأمكنة المرتحل إليها وأحوال النّاس وعاداتهم وثقافاتهم ، فلا بأس من أن تتزاوج الرحلات بالاثنوغرافيا وتمتزج، وهو ما أدى

[1] د. إيناس محروس بوبس، ماذا تعرف عن أدب الرحلة.؟https://www.aljazeera.net/blogs

[2] حسين فهيم ،أدب الرحلات. ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 138 يونيو 1989، ص 14.

[3] سماح بن خروف :بين الاثنوغرافيا وأدب الرحلة ، مفارقة اصطلاحية https://www.aranthropos.com

بالباحث يوسف وغليسي إلى إيجاد تسمية جديدة لهذا الفن وهي الأدب الإثنوغرافي"[1]مازجا فيها بين علم الإثنوغرافيا وأدب الرحلات.

ويذهب الباحث حسني محمود حسين إلى أن " نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيه فائدة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور".[2]

وللاثنوغرافيا علاقة بالرحلات لأن الرحالة أثناء قيامه بإسفاره المتنوعة يرصد كلّ ما يصادفه من معالم تاريخية وثقافات متميزة.وتقاليد يسعى الإثنوغرافي بدوره إلى معالجتها وإلى التحقق من عراقتها فيتقاطعان في وصف الطبيعة والمياه والآبار أو الآثار الّتي تحيل على حضارة البلد ، فهدفهما مشترك وموضوعهما واحد.

ولرحلة البيروني الموسومة ب" في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" قيمة اثنوغرافية ويتجلى ذلك في وصفه للديانة الهندية بشيء من التفصيل فتحدث عن اعتقادهم في الله وعن التناسخ والخلاص والصوم والحج وتقديم القرابين والصلاة والصدقة ثم راح يقارن طقوس الهنود ومعتقداتهم بأمم أخرى، مما يجعل بحثه في صميم البحث الإثنوغرافي والاثنولوجي على حد سواء .

فالإثنوغرافيا والرّحلة يكملان بعضهما إذ أن الإثنولوجي يحتاج إلى الرحالة عند وصفه لأسلوب الحياة لمجتمع ما. ومعرفة التقاليد والعادات والفنون وغيرها "إذ تربط بينهما وشائج وتكمل الواحدة الأخرى، حيث كانت الرّحلة خزانا راصدا لثقافة الإنسان بالتعرف

[1] يوسف وغليسي ،في ظلال النصوص تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 279.

[2] حسني محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب دار الأندلس ، بيروت، ط2 ،عام 1983 ،ص 6.

على ماضيه والسمات والظواهر الثقافية الّتي تمثله" [1]، فلا يمكن فهم الثقافة المعاصرة لشعب ما إلاَّ من خلال عمل مشترك بين الاثنوغرافيين والرحالين خاصة إذا تعلق الأمر بالثقافة العربية المعاصرة ومعرفة هوية المجتمع العربي وشخصيته القومية.[2]

ثانيا: مفاهيم اصطلاحية:

يمكن وصف أدب الرحلات بأدب الواقع أو الرّحلة الواقعية، وهي الرّحلة الّتي يقوم بها الرحالة إلى بلد من بلدات العالم، ويقوم بتدوين ووصف ما شاهده الى جانب سرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة فهو يتميز بالواقعية فالرحالة رجل واقعي عاش في الواقع وسافر الى أماكن حقيقية وخالط أناسا حقيقيين، وشخصّيته بارزة من خلال كتاباته، وبذلك فرحلته تعتبر مجسّدة على أرض الواقع .

أما مفهوم التجسيد لغة واصطلاحا فهو:

أ. لغة : جاء في معجم المعاني الجامع معنى كلمة تجسيد ،مصدر جسد، تجسيد الصورة أي تجسيمها وتمثيلها.

ب. اصطلاحا : فيعني تحويل الأفكار والمشاعر إلى أشياء مادية وأفعال محسوسة كمخاطبة الطبيعة كانها شخص تسمع وتستجيب.[3]

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص187 .

[2] المرجع نفسه ، ص188

[3] معجم المعاني الجامعة ، معجم عربي عربي.ص34

1. التجسيد في الرّحلة:

يقصد بالتجسيد في الرّحلة أي الواقعية أو التقريريّة وهو الرّحلة الّتي يقوم بها الرحالة حقيقة إلى بلد من بلدان العالم، فهو من أهم الفنون الّتي تنقل أحداثا حقيقية تعين الباحثين على تأكيد الحقائق التاريخية والجغرافية والثقافية .

وقد عرف انجيل بطرس أدب الرحلات ب أن"ما يمكن أن يوصف بأدب الرّحلة الواقعية هي الرّحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له . يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدّقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير".[1] فالرّحلة عنده هي الرّحلة الواقعية المجسّدة على أرض الواقع وبذلك نجد أن كتب الرحلات تتصف بالمصداقية والدّقة والموضوعيّة، "لا سيما وأن كتب الرحلات عموما تعد من أصدق المصادر التاريخية وأكثرها عناية بما يتعلق بالبلاد سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وجغرافيًا مما تفتقر إليه المصادر الأخرى ،إذ اتصف الرحالة ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف والتقصي وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق كما حرص أغلب الرحالة على التفرقة بيّن المشاهدة والرواية عند تسجيل معلوماتهم"[2]

وبالتالي فالرحلات الواقعية هي الرحلات الّتي تمت فعلا في إطار المكان بوصفه البعد الرئيس في إنتاج مادة ذات طبيعة جغرافيّة وإنسانيّة انعكست بصورة أو بأخرى على رؤية كاتبها .. ("فهي ذات محدّدات مكانية وزمانيّة سواء جرت على الأرض أو في السماء أوتحت الأرض وفي أعماق البحار".[3]

[1] انجيل بطرس ،الرحلات في الادب الإنجليزي. مجلة الهلال، العدد7السنة83، يوليو1975، ص52

[2] عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والاندلسية،، ص12 .

[3] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 19

2. فن الوصف في الرّحلة :

الوصف هو وسيلة من وسائل التعبير في اللّغة ، حيث يحاول فيها المتكلم التعبير عن ملامح وصفات الشيء بطريقة فنية ، وذلك لتقريب الشكل إلى ذهن القاريء، فهو يكشف لنا عن عبقرية كاتب ما باعتباره أكثر الطرق الفنية الدالة على بلاغته فقد يكون من أجل تبليغ الأحداث والأخبار أو من أجل السّرد ولإعطاء المعلومات الدقيقة أو من أجل تشخيص الحالة وتجسيدها، وهو يشمل دائما الأشياء الّتي تحدث ضمن نطاق الزمان والمكان والحركة، وتتجلى وظيفة الوصف في الرّحلة في كونه يلقي الضوء على جمالية نصّ الرّحلة ويتيح لنا التقرب من رحالة ما ومعرفة الأماكن التي يزورها ، وتصوير المناظر الطبيعية والمعالم الأثرية الّتي يراها أثناء رحلته ووصف الأشخاص الّذي يلتقي بهم ، وجميع الأحداث والمغامرات الّتي تحدث لهم ، فالوصف يعمل على إثراء تجربّة القراءة وتسهيل تخيل الأماكن والأحداث وهو ما اصطلح عليه بالأثنولوجيا كما أسلفنا.

3. الخبر في الأدب العربي وتجليات السرد :

الخبر فن قصصي يغلب عليه قول الحقيقة، ويشير إلى سّرد شيء من التاريخ .والخبر في اللغة: هو " ما ينقل أو يحدث به قولا أو كتابة" وفي المعجم الوسيط " الخبر ما ينقل ويتحدث به قولا أو كتابة ، قول يحتمل الصدق والكذب لذاته ، جمع أخبار"[1] فلفظ الخبر يرد إلى جانب مصطلحات أخرى مثل النادرة والسّيرة والحكاية والقصة .وبالتالي فالخبر يرمي إلى معرفة الحقيقة، ومنها أخبرني بمعنى أنبأني، حدثني وهي كلمات توحي بوجود الوسيط أوالمصدر ، واستخبره أي سأله عن الخبر وطلب أن يخبره والاستخبار السؤال عن الخبر والإخبار يرمي إلى معرفة الحقيقة ، وفيها معنى القص ف " الخبر في أصله تاريخاً ، فهو نوع

[1] نفسه ، ص 215.

من التفصيل لحادث ذي قيمة في حياة الجماعة"[1] والخبر الأدبي من أشكال السّرد العربيّ المعروفة في تراثنا الأدبي، والأخبار مثل النوادر والطرائف والأحاديث تناولها بعض الأدباء في مناسبة ما ثم حفظتها الذاكرة وعبرت عنها من طرف راو أو محدث متحريا في ذلك الدّقة في النقل والتدوين ،"تبعا لذلك فإن من أخص خواص الخبر تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية، نقلاً متتابعا دون أية انحرافات تتخلل بنية متنها ،فالهدف ليس في الإخفاء والإرجاء والتشويق بل يتمثل في النقل بأمانة والتمثل الواقعي "[2]، وبالتالي فمن مميزات الخبر الأدبي أنه ينقل سردا ما ،أو يحكي عن راو حكاية ما لها هدفها ومغزاها، ويتحرى في ذلك النقل الصدق والدقة أويستعمل الخيال، فليست كلّ الأخبار الأدبيّة الواردة في نصوصنا القديمة صادقة تماما بل يتخللها الكثير من الخيال والتأويل والتفسير المعتمد على الخيال .

الأخبار في النصّوص التراثية نوعان:

– أخبار بسيطة تحمل حدثا بسيطا يتردد فيها قول مثل، تفسير معنى كلمة أو ذكر بيت شعري وغيره ،

–أخبار مركبة وتحتوي على السّرد أو الحكاية عن أشخاص كانت لهم أفعال أو أحداث ونقل عنهم حوار معين أو وصف معين .

وأولى النصّوص الّتي وصلتنا عن العرب دالة على أن السّرد العربيّ قديم قدم الإنسان العربي حيث نجد أن العرب مارسوا السّرد والحكي شأنهم في ذلك شأن أي إنسان في أي مكان بأشكال وصور متعدّدة ، وخلفوا لنا تراثا مهما ،لكنه لم يتبلور بالشكل الملائم إلا مؤخرا وبصور عديدة. " وقد ترعرع السّرد الحكائي العربي في بيئة ثقافية انفتحت على أشكال متنوعة تفصح عن تجدر الحكي والخبر في الأدب العربي ابتدأت بالمغازي الّتي تمثل أولى

[1] شكري محمد عياد، القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط2. 2009م ، ص 23.

[2] عبد الوهاب شعلان السرد العربي القديم، اتحاد الكتاب، ع 412 ، س 35، آب2005.

أشكال الإبداع الشّعبي، ثم تطورت مع الحكايات والمقامات والرحلات، وهي نصّوص يتقاطع فيها المرئي المشاهد بالمسموع والمختلق والخيالي" .[1]

كما أن جل الأشكال التعبيرية نجدها تعتمد عنصر السّرد نظرا لضرورة تواجده بين ثناياها للحفاظ على نمط النصّ بحيث " يشكل السّرد العربي صورة جلية لنمو الأشكال الشفويّة المتحولة إلى نصّ مكتوب يتواجد في حقول شتى وسط كتب الأدب المتنوعة ومؤلفات التراجم والسّير.. ونصوص المقامات والأخبار وكلّ التقييدات المحسوبة على التاريخ والجغرافيا الوصفيّة والرحلات".[2]

ويتميز الخبر عند" سعيد يقطين" بكونه أصغر بنيّة حكائية حيث يضع الخبر إلى جانب أنواع أصلية وثابتة مثل الحكاية والقصة والسّيرة وهي في نظره أنواع تقترب من الأجناس الأدبيّة من حيث طبيعتها وبناءها ، حيث يفصل بينها ويقوم فصله في مبدأ التراكم حيث يقول في كتابه "الكلام والخبر " فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائية ، فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة والقصّة تراكم لمجموعة من الحكايات والسّيرة تراكم لمجموعة من القصص" [3].

وكما جاء في تعريف أدب الرّحلة سابقا أنه يتمثل في سّرد مراحل الرّحلة مرحلة مع تنوع في الأسلوب من السّرد القصّصي إلى الحوار إلى الوصف ، "بحيث تصبح الرّحلة مجسدة في امتلاكها لقاسم مشترك مع النصّ السّردي إذ تغدو نصًا سرديا بامتياز". [4]فأدب الرّحلة ليس فنا مستقلا بذاته كبقية الفنون الأخرى حيث نجده يقترب من فن القصة والرواية والحكاية نظرا لطبيعة بعض الرحالة الذين جنحوا إلى سّرد القصص الّتي عاشوها أو سمعوا بها

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص 28

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] سعيد يقطين:الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، المركز الثقافي العربي، المغرب ،1997 ،ص 195 .

[4] سديرة سهام :أدب الرحلة الماهية ،البنية والشكل https://www.asjp.cerist.dz/en/article/34319 ص183.

، وكان سردهم لهذه القصّص بعفويّة وحيويّة قربت الرّحلة من عالم القصة .."[1] كما نجد الوصف الدقيق والبارع في معظم الرحلات ، هذا الّذي قرب أدب الرحالة إلى أسلوب القاص كون جوهر الرّحلة: " هو وصف السفر من موضع إلى آخر وما تقع أبصار المسافر من مشاهدات، وما يستطرفه من أخبار".[2]

وفي العصر الحديث نجد أدب الرحلات يقترب من فن الرواية، إذ "أخذت في الابتعاد عن الشكل القديم والترابط معا،بل وصلت عند بعض الكتاب إلى الشكل الروائي" [3]، حيث يقول حسين نصار: " الرّحلة الأدبية إن لم تكن قصة ولا رواية بالمعنى الدقيق فهي أخت شقيقة لهما"[4]، وفي العلاقة بين الحكي والإخبار وغلبة الحكي الذاتي في الرّحلة يقول شعيب حليفي في كتابة" الرّحلة في الأدب العربي" : "يتمظهر الحكي الإخباري في النصّ الرحلي ضمن وحدات مهيمنة تستعين بالوصف والمقارنة والتعليق في جمل سّردية يتم تقديمها عبر مراحل الرّحلة، وقد يغلب طابع الحكي الذاتي فتتراجع الأخبار لصالح الذات ، مثلما يمكن للحكي أن يترك مكانه للإخبار الّذي يضيء الأشياء والآخر.".[5]

[1] نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية و المغربية، حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 306.

[2] حسين نصار، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، طبعة1 ص 132

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه ،ص ن

[5] شعيب حليفي:الرحلة في الأدب العربي،ص43

4. من الرّحلة الواقعية إلى الرّحلة الخيالية:

كما تكون الرّحلة واقعية حيث يقوم الرَّحالة بها فعلاً على أرض الواقع ، متنقلاً بجسده من مكان إلى آخر ، مُعَانيا وواصفا للمشاهد والمحسوس يمكن للرحلة أن تكون خياليّة يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه، إلى أماكن أخرى ، وأزمنة متباعدة ، "ومع أنَّ رحلات الواقع تشكل في حقيقة الأمر أساس أدب الرحلات ... إلاَّ أننا نرى إمكانيّة توسيع مجال أدب رحلات ليتضمن كلّ الرّحالة، سواء من سار على البقاع ، أم من تحوّل مع الأفكار وأخذ الخيَّال منه كلّ مأخذه " .[1]

أ- مفهوم التخيل :

لغة : تخيّل الشيء، تصّوره وتمثّله .

التخيل : هو تمثيل الأشياء.[2]

اصطلاحًا : نقصد بالخيال تلك : " الصورة المشخصة التي تمثل المعنى المجرد تمثيلاً واضحا، وهذا المعنى مألوف في الأدب والشعر والفن "[3]. أما عند الفلاسفة العرب القدامي فهو " قوة للنفس تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادّة [4] وله نوعان أحدهما تمثيلي والآخر مبدع " ، "فالتخيل التمثيلي يعتمد على استحضار وإعادة صّور للذهن وإعادة تركيبها ،أما التخيل المبدع فيستمد عناصره من الوجود فيركبها تركيبا جديدا وهناك نوع آخر وهو التخيل الوهمّي الّذي ينسج الرؤى

[1] حسين محمد فهيم:أدب الرحلات ،ص45.

[2] ابن منظور :لسان العرب ، ج11، ص 213.

[3] فوزية قفصي، أدب الرحلة من التقرير إلى التخييل – رحلة ابي حامد الغرناطي انموذجا – ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية 2024 ، ص57

[4] المرجع نفسه الصفحة نفسها

والأحلام نسجا خياليا لا صلّة له بالوجود الحقيقي " [1]، فالرحالة يستحضر الأحداث الّتي مرَّ بها في رحلته ثم بعد ذلك يتم فعل الكتابة والاسترجاع يكون عن طريق التخييل، وبالتالي سيكون للذاكرة دور في ملء الفجوات الموجودة بيّن الكتابة وفعل الرّحلة، "ويستمد النص الرحلي مادته التخيلية من استذكارات أو تقييدات لوقائع وإحداث وتجارب عاشها السَّارد أو الّذي روى الرّحلة، فتأتي على شكل نصّ شخصي يكتب للَّذات وللآخر تأريخاً حكيًا عن سفر معين[2].

وبالتالي فللرحلة علاقة بالتاريخ كونها ترتبط بالأحداث الماضيّة لكن الرحالة لا يتخلى عن مشّاعره ووجدانه فهو يتفاعل ذاتيا مع الأحداث ويستجيب لها كما أنه لا يستغنى عن عنصر الخيال عكس المؤرخ . فالاسترجاع يتم عن طريق السّرد وهو " نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلاً للتداول، سواء أكان هذا الفعل واقعيا أم تخيليا وسواء تم التداول شفاها أو كتابة " [3].

ويعتبر الخيال ضروريا عند الغزالي كونه يضبط المعارف العقلية حيث يقول : " إن من بيّن خواص الخيال أنه ضروري لضبط المعارف العقليّة ، فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشارا يخرج عن الضبط، فنعم المعيّن المثالات الخياليّة للمعارف العقلية "[4]. فكون نص الرّحلة يكتب بعد مضي زمن معين قد يطول وقد يقصر فهذا يفسح المجال للخيال ليلعب

[1] المرجع نفسه،ص59

[2] شعيب حليفي .الرحلة في الأدب العربي، ص 128

[3] سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون. ، منشورات الاختلاف، ط1، 1433هـ 2012م.

[4] الغزالي مشكاة الأنوار في توحيد الجبار ص 34.

دورا هاما في ملء قنوات الفراغ الموجود بيّن أحداث الرّحلة " إن تحول تجربة الرّحلة من وقائع ومشاهدات إلى تذكر ثم إلى فعل كتابة ما يتم عبر قنوات منها قناة الخيال .."[1].

فالرحلات على العموم وعلى اختلاف أنواعها تصّور جوانب مهمة من حياة الشّعوب وقد اهتم بها الباحثون. كما تم ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.[2]

وقد" ارتبط مسار تكون النّصّ الرحلي بمسألة التعدد، مما افرز سيمات وخصوصيّات ضمن كم هائل من النصّوص تنوعت حسب أسباب قيامها وأهدافها المرسومة ، وهو الشّيء الّذي انتحاه "محمد الفاسي" حينما قسم الرحلات إلى خمسة عشّرة نوعا يمكن النظر إليها من زاوية أخرى وحصرها في نوعين كبيرين هما : الرّحلة الفعليّة والرّحلة الخياليّة .[3]الرّحلة الفعليّة مثل الرحلات الحجيّة الزيارية وتتميز بوفرة في التنويع كما لو أنها سّير ذاتية أو مذكرات شخصيّة محدّودة في الزمان والمكان ، كذلك رحلات المثاقفة وهدفها الاحتكاك بمكونات معرفية وثقافية أخرى .[4]

ب – الرّحلة المتخيلة :

وهي الرّحلة الّتي لا تتأسّس فعليًا في الوجود الفيزيقيّ أو تتطلب تجربة معيشّة على المستوى الواقعي، وهناك نوعان من الرحلات المتخيّلة وجدا في الأدب العربي هما : رحلات دنيويّة ورحلات آخرويّة، أما الدنيويّة فهي النصّوص الرحليّة الّتي يتم رسم أحداثها ووقائعها في الدنيا داخل فضاء يكون معروفا أو مرموزا إليه في العالم الواقعي الأرضي في الأزمنة الثلاثة.

---

[1] سليمان العطار، الخيال عند ابن عربي (النظرية والمجالات) ، (د،ط) ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة 1991 ، ص 18.

[2] سورة التوبة أية 122.

[3] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ،ص129

[4]مجدي وهبة ،كامل المهندس، معجم المصطلحات الغربية في اللّغة والأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص 92.

والرحلات الآخروية فهي عوالم تخييليّة مرتبطة بعوالم الغيب وتخيل وقائع يوم القيامة وتصوير ما يحدث في الجنة والجحيم بأسلوب ترهيبي وترغيبي "[1].

ومن هذا المنطلق نفهم أنَّ الرّحلة الخيالية هي من نسيج خيال الكاتب، يسّرد أحداثها ضمن أزمنة وأمكنة متخيّلة "يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقيّة وتصور مغامرات خارقة بقصد التسليّة وإثارة الخيال مثل رحلات السندباد البحري"[2]، وإمَّا أن تكون رحلات خيالية من منطلقات واقعيّة كما فعل أبو العلاء المعري وأندري جيد ومحمد المويلحي.

ويرى شعيب حليفي أن " النصوص التّاريخيّة وغيرها، وهي تعيد بناء أبطال كانوا في الواقع المادّي ثم الذهني مقابل نصّوص حكائية ترسم أبطالا من المتخيل الشّعبيّ ووقائع تصاغ في سياقات جديدة تشترك في سّمات تتكرر بنسب متواترة ذات حضور جلّي " [3]وأن هذا الحضور يبرز في التشّويق في الحكي والجنوح إلى الغرابة وأخيرا عنصر الارتحال والانتقال وقد تجلّى عنصر الارتحال في المؤلفات التّاريخيّة على مستويين رئيسيين هما : ارتحال ذهني للمؤلف نحو أحداث ماضيّة يتم استقاؤها من الأسفار والتقييدات .

أو مما هو شّفويّ ويتجلّى في استعادة سّرد بداية الخلق وأخبار الأوّلين وحروبهم ورحلاتهم المتنوعة، وارتحال فعلي للمؤلف نحو فضاءات متعددة ومتنوعة بحثا عن الأحداث من أفواه الرواة أو عن أماكن بها آثار شاهدة بقصد توثيق الأخبار وتقييد المشاهدات " [4].

فالرحالة في الرّحلة الواقعيّة ينقل لنا ما شاهده في البلاد الّتي زارها بدقة كونه تنقل حقا فيها ، أما في الرّحلة الخياليّة فهو يطلق أفكاره ومشاعره لتنقله بعيدا عن واقعه إلى عالم

[1] المرجع نفسه ، ص 93.

[2] المرجع نفسه ، ص 92.

[3] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 22.

[4] المرجع نفسه ، ص 22.

آخر ،وفي هذا الصدد يقول شوقي ضيف: "إن الإنسان ولد راحلاً وإن أعجزته الرّحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال" [1] وذلك يكون انطلاقا من الواقع إذ " يتخذ أساسا من الواقع ثم يدبر حوله وقائع مبتكرة، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء والمعراج"[2].

ويعد" أندري جيد" واحدًا من هؤلاء الرحالين إذ انطلق من الواقع إلى الخيال " انطلق اندري جيد من عالم الواقع ، وانتقى منه الانطباعات المؤثرة القوية ومزج ذلك بخياله الخصب الخلاق فأخرج لنا تركيبا رادعا تتحدد فيه روحه بالعالم وتطغى عليه حياة جياشة بفضل ذاتيتها المتدفقة ".[3]

ثالثا: تركيب: (أدب الرّحلة بين التجسيد والتخييل)

[1] شوقي ضيف، الرحلات، الطبعة الرابعة ،دار المعارف القاهرة ، ص07

[2] حسين نصار، أدب الرحلة ، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ص 49 .

[3] نادية محمود عبد الله، الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندري جيد، عالم الفكر، مجلد 13 ع4، يناير،فبراير، مارس 1983 ص181

من خلال تعريفنا للتجسيد والتخييّل في الرّحلة نستنتج أن الرّحلة قد تكون واقعية أي مجسّدة على أرض الواقع كما قد تكون خيالية محض، كما توجد رحلات تتراوح بيّن ازدواجيّة التخييّل والتجسّيد أي أنها رحلات واقعيّة في ثوب خيالي ، وبالتالي فالواقعية في النصّ الرحلي تظهر بصورة نسبيّة تتراوح بين التقريريّة والاحتماليّة وهذا ما يميزها عن الرسائل التاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة "وعليه فإنَّ تحول التجربة من وقائع ومشاهدات إلى تذكر ثم إلى فعل الكتابة يتشكل باعتبارها فنا وعملية في صميم بناء المتخيل ... وهكذا يصبح أي نصّ رحلي خليطا منصهرا للواقعي والاستيهامي والمحتمل " [1].

وبالتالي فالخيال يكون في الرّحلة الواقعيّة والخياليّة لكن بنسب متفاوتة " ومن منظور آخر وقريب فإنَّ المتخيل يحضر في النوعين معا بنسب متفاوتة وبخصوصيات مختلفة" [2].

لكن هذا لا ينفي قيمة ومصداقيّة هذا الفن إذ يعتبر من أصدق الفنون في التعريف بالواقع ونقل صورته، وصورة العصر الّذي ينتمي إليه إذ يصور جوانب مهمة من حياة الشّعوب، ووثائق حية لما كانت عليه حياتهم في مختلف عصورها.

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص372.

[2] المرجع نفسه ص 373.

الفصل الثاني

حديث عيسى بن هشام

بين التجسيد والتخييل

أولا: المويلحي بين ثقافتين:

يعد المويلحي من الرواد المؤسسين للرواية العربية ومن رواد الإصلاح والنقد الاجتماعي جمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية وبين التراث والمعاصرة وهذا ما انعكس على أعماله،لذا رأينا أن نعرّف القارئ به فمن هو المويلحي؟

هو محمد بن ابراهيم بن عبد الخالق بن إبراهيم المويلحي "ولد في القاهرة سنة 1858 لأسرة ثرية تأخذ بحظها من الثقافة، فهو حفيد سر التجار في عهد محمد علي، وكان أبوه ابراهيم المويلحي يشتغل بالتجارة ، إلاَّ أنه كان يجد في نفسه ميلاً شديدا إلى الأدب، فهو أديب وكاتب وناقد وصحافي مصري والمويلحي نسبة إلى مويلح وهو أحد ثغور الحجاز تلقى دراسته الأولى على يد أبيه ابراهيم المويلحي الّذي كان صحافيا مشهورا ، وأحد تلامذة جمال الدين الأفغاني ومؤسس جريدة " مصباح الشرق " في القاهرة " فعكف على قراءة عيون الأدب وصحب كبار الأدباء في عصره ، وكان يجيد الفرنسية والتركيّة والعربيّة كما اشتغل بالصحافة.

حيث أخرج مع محمد عثمان جلال صحيفة "نزهة الأفكار" إلاَّ أنها لم تستمر طويلا وقد كان قريبا من الخديوي إسماعيل فعين عضوا في مجلس الاستئناف، ولما نفي الخديوي إلى إيطاليا صحبه مدّة من الزمن ثم نزل في الأستانة فأكرم هناك، وجعل عضوا في مجلس المعارف وعاد مع أواخر القرن إلى مصر، فأخرج مجلة مصباح الشرق وكانت أهم مجلة أدبيّة عندنا إلى أن توفي سنة 1906 "[1]ومن هنا نفهم أن محمد المويلحي نشأ في بيت ثراء وأدب وقد ألحقه أبوه بمدرسة الأنجال الّتي كان يلتحق بها أبناء الطبقة الأرستقراطيّة، وكان في الوقت نفسه يدرس، في الأزهر ليتقن اللّغة العربيّة، وقد وجد في أبيه أستاذا أصيلاً تلقى عنه أصول الأدب علما وعملاً، وقد وظفه أبوه في دواوين الحكومة، غير أنه اشترك في ثورة عرابي ، ففصل من وظيفته بعد إخفاق الثورة، وقد خرج من مصر إلى أبيه في ايطاليا حيث استدعاه جمال الدين إلى باريس ليساعده في اخراج صحيفة "العروة

[1]الدكتور شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر ،مكتبة الدراسات الأدبية ،4دار المعارف، الطبعة 10، ص234.

الوثقى" فلبى دعوته فكانت فرصة له ليتقن الفرنسية ويصادف بعض أدباء فرنسا مثل" اسكندر ديماس الصغير"، ويقال أنه تعلم وهو مع أبيه الايطالية ، وبعض مبادئ اللّغة اللاتينيّة، وقد ذهب إلى الأستانة قبل نزول أبيه هناك، وبعدما أمضى ثلاث سنوات في إيطاليا وفرنسا، فاشتغل هناك بإخراج" رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري وغيرها من الكتب، ثم عاد إلى القاهرة فاشترك في تحرير الأهرام والمؤيد والمقطم ثم عاد أبوه واخرج مجلة " مصباح الشرق" فعاونه فيها ونشر بها قصته " حديث عيسى بن هشام " في حلقات متتابعة ، ويجمع هذه الحلقات ويذيعها سنة 1906 ، وقد عين مديرا للأوقاف سنة 1910 وهو مع ذلك يحرر في صحيفة "المقطم" ويكتب مقالات مختلفة في شؤون السياسة والاجتماع في روح ثائرة ضد الاحتلال، وألف كتابا سماه " أدب النفس" وهو عبارة عن رسائل في الأخلاق وشؤون الحياة، ومازال يتابع هذه الكتابات حتّى توفي سنة 1930" [1]، وقد كان شديد المحافظة بالرغم من ثقافته الواسعة ومعرفته بالآداب الفرنسيّة .

ثانيا: رواية حديث عيسى بن هشام للمويلحي :الرواية المقامة

يعتبر محمد المويلحي كما أشرنا سابقاً من المحافظين شدّيدي المحافظة رغم ثقافته الواسعة وإلمامه بالآداب الغربيّة لذلك نجدّه يحاول إدخال القصّة الغربيّة في أدبنا الحديث لكن بصورة عربية، "وإذا كان محمد المويلحي ممن يجمعون بين الثقافة العربيّة العميقة والثقافة الغربيّة الحديثة ، فلا غرابة إذا جاء أدبه ممثلاً لامتزاج الثقافتيّن، وقد تجلى ذلك في حديث عيسى بن هشام، الّذي بدأ يكتبه منسجما في جريدة " مصباح الشرق" منذ 17 نوفمبر1898 والكتاب يجمع بين سيمات الأدب العربي القديم والأدب الغربي، فهو يجري على اسلوب المقامة في كثير من فقراته، في أسلوب قصصي ويعالج موضوعات اجتماعيّة "[2]. أما بالنسبة لمضمون الكتاب "هو عبارة عن لوحات مختلفة تبين بعض الفساد الّذي دبَّ إلى المجتمع، وبعض ما حدث من تغيير بمصر في مدى خمسون سنة (منذ وفاة

[1] الدكتور شوقي ضيف، المرجع السابق،ص235

[2] عمر الدسوقي ، نشأة النثر الحديث وتطوره ، القاهرة دار الفكر العربي، 2007ميلادي، ص132

الباشا حتّى بعثه) في نظمها القضائيّة وحياتها الاجتماعيّة والسياسيّة، ولا يتقيد فيه محمد المويلحي بأسلوب المقامة من السّجع القصير الفقرات وإيراد مختلف المحسنات والتندر بالغريب كما كان يفعل الحريري وإنما نراه يلجأ إلى هذا الأسلوب حين يتحدث هو متقمصا شّخصيّة عيسى بن هشام وحين يصّف منظرا من المناظر، أما حين يسّرد الحوادث فيلجأ إلى الأسلوب المرسل، ويكاد يقرب من حديث الصحافة، ويستعمل أحيانا الكلمات الدخيلة للضرورة ".

فهو نصّ سّردي يكشف عن النزوع الأخلاقي والاجتماعي لمؤلفة من خلال استخدام أساليب السّرد في التراث العربي القديم وخاصة المقامة. " وقد كانت رحلة " علي مبارك " مثالا له والمسماة " علم الدين" كونها القصّة الوحيدة الّتي صنعها العرب ، فهي رحلة تقع في أربعة أجزاء ، قام بها الشيخ علم الدين مع مستشرق إنجليزي فطافا معا بجوانب الحياة المصرية ثم رحلا إلى بلاد الإنجليز وصور علي مبارك مشاهداتهما هنا وهناك ، وقد وضعت الرّحلة في شكل مسامرات بلغت 125 .

وفيها يصف الكاتب حياة علم الدين في الأزهر، كما يصف حياتهم في حفلات الزواج والمواسم والأعياد، ويلم بحياة الانجليز كما ينشر فوائد في العلوم الشرعيّة والفنون الصّناعيّة وأسرار الكون والخليقة"[1] .

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنَّ علي مبارك استلهم هذه الرّحلة من كتاب" إميل" للكاتب الفرنسي" جان جاك روسو" إذ أجرى على لسّانه آراءه وأفكاره واختار لرحلته الأسلوب المسجوع ،" فكان هذا هو النموذج الوحيد الّذي اتخذه المويلحي ورأى أنه قد ينفعه في رحلته رغم الاختلاف في الهدف المنشود في كلّ رحلة لتغير الأزمنة والأمكنة والعصور، فرحلة علي مبارك كتبت قبل عصر الاحتلال أي قبل بروز المشاكل الاجتماعيّة على ألسنة المصلحين أمثال" محمد عبده وقاسم أمين والنديم ".[2]

[1] المرجع نفسه ، .ص132

[2] المرجع السابق ص133.

لذلك كان هدفها تعليميا أي قبل أن يندفع المجتمع في تقليد الحضارة الغربيّة حيث أصبح العرب على اتصال مباشر بالغرب لذلك كان هدف قصة المويلحي إصلاحيا.

كما يمكن الإشارة إلى أن قصة المويلحي تشترك مع قصة أصحاب الكهف المذكورة في القرآن الكريم وإعادة البعث، وبالتالي قد يكون استلهمها من القرآن الكريم "وبما أنَّ المويلحي رجل محافظ كما أشرنا سابقا فهو حتما سيبحث لقصته عن إطار عربي خالص حتى لا يخرج عن ذوقه، فهداه تفكيره إلى إطار المقامة الذي اصطنعه بديع الزمان الهمذاني فراوي قصته هو نفسه راوي قصّة بديع الزمان الهمذاني لذلك سماها "حديث عيسى بن هشام " لكن بطل بديع الزمان الهمذاني أديب متسول، فهو اختاره لأنه يتماشى مع موضوع عصره نظرا لانتشار الفقر والتسول والكدية بينما لا يلم بموضوعات عصر المويلحي الّذي اختار لرحلته بطلاً من جيل سابق لجيله،كما"ينقسم الكتاب إلى قسمين يقوم الأوّل على الأنواع الكلاسيكية والتقاليد الناشئة من الخيال العربي الحديث، أما القسم الثاني فيتناول المدنية الغربيّة، وقد تمت إضافته إلى النص في الطبعة الرابعة لعام 1927، ويعتبر الكتاب فريدا من نوعه لتناوله المنظور الاجتماعي في مصر تحت ظل الاستعمار وقد مهد الطريق للرواية العربيّة الحديثة . [1]

وتعتبر الرّحلة سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة الجغرافية والتاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة ، حيث تدرس الظواهر وتفسرها كونها فعل إنسانيّ تطور و توسع في العصر الجاهلي والمعاصر إلى جانب قيمتها الأدبيّة حيث تعرض جلّ مضامينها بأسلوب أدبيّ يرقى إلى مستوى الخيال الفنّي ليمثل لنا في تنوع أساليبه من السرد القصصّي إلى الحوار إلى الوصف كما يتناول الموضوعات العلمية فهو يتنوع تبعا لتنوع وغنى مادته ، تارة واقعي وتارة أسطوري تجتمع فيه المتعة والفائدة على السواء فهو يمزج بين الحقيقة والخيال والحلم والواقع.

[1] المرجع نفسه ، ص237.

ولا شك أن الرّحلة الواقعية الّتي يقوم بها الرحالة فعلاً هي الأصل في أدب الرّحلة، فالرّحلة سلوك إنساني حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد والمجتمع ، فالشّخص يتغير بعد الرّحلة مثلما تتغير الجماعة كذلك بعدها والإسلام حثنا على ذلك بقوله تعالى :﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إنَّ الله عليم خبير ﴾. [1]

وقد رأينا أن رحلة "محمد المويلحي"-حديث عيسى بن هشام- تتناسب مع بحثنا هذا كونها رحلة خياليّة في قالب حقيقي، وهذا يجسد ما تحدثنا عنه في الجزء النظري من البحث كون هاته الرّحلة تمزج الحقيقة مع الخيال، فرحلة محمد المويلحي والّتي سّردها على شكل مقامة والتّي هي فنّ من فنون الأدب ،هي عبارة عن قصة قصيرة مسجوعة العبارات والجمل يظهر فيها الكاتب براعته حيث يجمع في مقالته بين القصّة والسّرد القصصّي وبيّن الشعر واللّفظات المتناغمة شعريا بحيث يكون لكلّ مقامة بطل راو يروي أحداثها ويتميز بالفكاهة والبراعة اللغوية وحسن سرد أحداث القصة فهي رحلة خيالية في ثوب حقيقة.

وبما أن الأدب مرآة عاكسة لحياة أي شعب من الشعوب وما تأثروا به من أحداث وظروف فإنَّ رحلة المويلحي ما هي إلاَّ تعبير عن إرهاصات ماضيّة وحاضرة عاشها مجتمعه المصري،ولعل أبرز الأحداث البارزة هي الحملة الفرنسية لمصر في آخر القرن الثامن عشر (18) واصطدامها بالشعب المصري الّذي كان تحت وطأة الحكم العثماني منذ غزاه الأتراك في القرن 16 وأنزلوا بأهله البؤس والشقاء كونهم غزاة فاتحين لا نظام ولا حكم لهم فهدموا كلّ ما في مصر والشام من حضارة لما فتحوها وحطموا كلّ شيء إلى أنَّ انهارت الحياة العقليّة والأدبيّة في مصر.

لقد اختار الكاتب عيسى بن هشام راويا خياليا استعاره من مقامات الهمذاني واحمد باشا المنيكلي الشخصية الخيالية الّتي قامت من رمسها ليصطحبا ويجولا ربوع القاهرة، ويرصدا التغيرات

[1] سورة الحجرات، الآية 3

الاجتماعيّة والثقافيّة الّتي طالت أهلها في هذه الفترة الحيويّة من تاريخ مصر الحديث والمعاصر، في قالب قصصّي يكشف تاريخ مصر وتراثها الماضي والحاضر ومعالم المدنية الغربيّة ومدى تأثيرها على المجتمع المصري آنذاك.

ثالثا: مواطن التجسيد في رواية محمد المويلحي:

تعرضنا سابقا للرحلة الواقعية وهي الرّحلة المجسّدة على أرض الواقع، أي أنها رحلة فعلية قام بها رحالة معين لغرض من الأغراض ، وهي ذات قيمة عظيمة لما تسجله من حقائق في الجوانب التاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والجغرافيّة، وهي أنواع منها الدينيّة ومنها الاستكشافية العلمية ومنها الزيارية، وغيرها، وفي المقابل هناك رحلات تحمل حقائق ووقائع لكنها لم تحدث فعلا في الوجود أي أنها رحلات حقيقية في ثوب خيالي، فصاحبها لم يرحل حقيقة مثل رحلة المويلحي الّتي اتبع فيها أسلوب المقامة منطلقا في ذلك من واقعه المعيش وأحوال مصر الّتي آلت إليها من جراء الاستعمار ومن هنا سنبين مواطن الخيال ومواطن التجسيد أو الحقيقة في رحلته .

1- الوصف :

نلمس الوصف أو ما يعرف بإثنولوجيا الرّحلة من خلال وصف المجتمع المصرى بمختلف طبقاته، وما آل إليه وضعه في فترة زمنية محددة وتصوير الأمكنة وتحديد الأزمنة من خلال التأريخ للأحداث والشخصيات، ووصف تغير العمران على ما كانت عليه في عهد الباشا، ونلمس ذلك من خلال رد عيسى بن هشام على الباشا حين قال له أنه ليس من مصر ولو كان كذلك لما جهله " الدفين مشمئزا : قل لي بالله من أي الأقطار أنت ، فإنه يظهر لي أنك لست من أهل مصر، إذ ليس في القطر كله من أحد يجهل بيت احمد باشا المنيكلي ناظر الجهادية المصرية عيسى بن هشام : اعلم أيها الباشا أنني رجل من صميم أهل مصر. ولم أجهل بيتك إلا لأنَّ البيوت في مصر أصبحت لا

تعرف بأسماء أصحابها ، بل بأسماء شوارعها وأزقتها وأرقامها فإذا تفضلت وأوضحت لي شارع بيتك وزقاقه ورقمه انطلقت إليه وأتيتك بما تطلبه".[1]

فيظهر من خلال كلامه أن الشوارع قد تغيرت بعد رحيله ثم ينتقل إلى وصف البوليس ويعرفه به وأنه هو نفسه القواس في عهده بعد أن كان يظن انه ولي من أولياء الله حين كان المكاري يستغيث به عندما ضربه الباشا، وفي وصفه للنيابة والإدارة والمحامين والقضاة وانتقاده للنظام السائد في ذلك الوقت وتفشي الرشوة وفساد الأخلاق وذلك من خلال سجن الباشا بسبب ضربه للمكاري واتهامه بضرب جندي دون أن يجد من يسمع شكاته وشهادة الشهود كذلك في وصفه للنيابة والتعريف بها للباشا وأنها سلطة قضائية مكلفة بإقامة الدعاوي الجنائية على المحرمين بالنيابة عن الهيئة الاجتماعيّة ، والغرض من إنشائها ألاَّ تبقى جريمة بلا عقوبة ، وأن الّذي يحكم الأمة هو شخص تكون له شهادة وهو أحد أبناء الفلاحين فيسأله عن الشهادة ظنا منه أنها الشهادة بعد الجهاد في سبيل الله ويصفها له أنها شهادة ورقية يأخذها التلميذ في نهاية دراسته وهي عندهم قابلة البيع والشراء مما يكشف عن انتشار الزور وفساد الأخلاق في عصره .

وبالتالي تتاح للراوي الفرصة لانتقاد المؤسسات المصرية الّتي تدهورت واختلفت عن تلك التي عرفها في أيام مجده وعزه، كما ينتقد الظواهر السيئة الموجودة عند الموظفين كالبيروقراطية وعدم الاكتراث بأمور النَّاس، وذلك في وصفه للحكام ولهوهم وعبثهم بحقوق الناس واهتمامهم بالسهرات ولعب القمار واللامبالاة بحقوق الناس. "وهكذا يمضي المويلحي يغوص إلى أعماق المجتمع، ينتقد ويلذع بكلماته هؤلاء الذين لا يراعون حقوق الوطن والمواطنين وينحرفون عن جادة الصواب، ويصور الشواذ من النَّاس تصويرا بارعا . ويقف أمام الأشياء العظيمة فيجيد نعتها ، كل هذا مع روح مصرية

[1] محمد المويلحي ، حديث عيسى بن هشام ، ص 16.

خالصة في وطنيتها وصدقها ومرحها ودعابتها".[1] فيصف المحاماة بأنها صناعة شريفة يمارسها فضلاء القوم قبل أن تتخذها جماعة محتالين ومخادعيّن بضاعة لكسب المال.

وقد عناهم علاء الدين الكندي بقوله :

ما وكلاء الحكم إن خاصموا إلا* شياطين أولو بأس قوم غدا شرهم فاضلا**

عنهم فباعوه على الناس فلولا يقظة عيسى بن هشام لكان سمسار المحامي قد استغل الباشا أسوأ استغلال".[2]

ثم اتجه إلى وصف ساحة المحكمة وقت التقاضي ويصف الأقوام وشهادة الباطل وإنكار الحقوق وأن هناك من يشكو ومن يتودّد وألفاظهم متناقضة وأقوالهم متعارضة فيقول:"ولما حلّ يوم الجلسة رافقت الباشا إلى المحكمة فوجدنا في ساحتها أقواما ذوى وجوه مكفهرة، وألوان مصفرة ، وأنفاس مقطوعة وأكف مرفوعة، وشاهدنا ينتقل باطلا يذكر وحقا ينكر وشاكيا يتوعد وجانيا يتودّد، وشاهدا يتردّد ، وجنديا يتهدد ، وحاجبا يستبد، ومحاميا يستعد ..". [3]

وفي وصفه للقضاء وأن هناك محاكم شرعية وأخرى أهلية ومختلطة ومجالس تأديبيّة وإدارية وعسكرية ومحاكم مخصوصة فيستغرب الباشا من كون المصريين قد أصبحوا أحزابا متفرقة وفرقا وقبائل. ويقول أنه لم يعهدهم كذلك في زمانه ويتساءل" هل انطمست تلك الشريعة الغراء واندرست بيوت الحكم والقضاء ؟ اللهم لا كفران ولعن الله الشيطان[4] ، ثم يشرح له عيسى بن هشام ذلك.ثم نجده يصف القاضي وضيق صدره وعدم تأنيه في سماع المرافعة أو الشرح وحكمه على الباشا بالسجن من دون وجه حق لمدّة سنة ونصف بسبب ضربه للمكاري الذي اعترضه في الطريق، وكان السبب في

[1] عمر الدسوقي ، نشأة النثر الحديث وتطوره، المصدر السابق ، ص 137.

[2] المرجع نفسه ،ص 138

[3] محمد المويلحي ، الرواية ، ص 37.

[4] الرواية ص40.

تسرعه هو أنه مدعو إلى وليمة بعض رفاقه ، فهو في كلّ مرّة نجده يطلب من المحامي أن يختصر الكلام بقوله :

"القاضي مشمئزا " : اختصر يا حضرة المحامي وادخل في الموضوع.

المحامي: ... ومن المعلوم أن نظام الترتيب يا حضرة القاضي في طبقات الهيئة الاجتماعيّة يقضي.

القاضي "متضجرا" : اختصر يابك المحامي : الموضوع يقتضي ذلك" . [1]

ومن وصف الحكام والقضاة ينتقل الى وصف رجال الأزهر ويتهكم بهم لبعدهم عن الكتابة في الصحف فيقول : علماؤنا ومشايخنا – يغفر الله لهم– هم أبعد الناس عن اختيار هذه الطريق وممارسة هذه الصناعة ، وهم يرون الاشتغال بها بدعة من البدع ويعتبرونه فضولاً تنهى عنه الشريعة ثم أنشد يقول :

عمروا موضع التصنع فيهم * ومكان الإخلاص منهم خراب.**[2]

وفي تعليقه على هذا الموضوع يقول إن غيرهم قد مارس هاته الصناعة واتخذوها حرفة للعيش مثلهم مثل باعة الأسواق في الغش والخداع والاحتيال ، ومن أدق مواضع الوصف في رحلة المويلحي وصفه للعمدة من خلال إبراز ثراءه وغفلته عند نزوله القاهرة حيث يلم به بعض السماسرة والقوادين فيسقط سقوطا مزريا في ملذاته من جراء إغوائهم وخداعهم له في ماله وشرفه، ونلاحظ من خلال هذا الوصف إبداعه في رسم شخصية العمدة رسما دقيقا.

كما فعل أيضا في وصف المحامي الشرعي الّذي وكلّة المنيكلي مع عيسى بن هشام للمطالبة بوقف له وفي خضم هذا الحوار –حوار المحامي مع عيسى بن هشام– نستكشف طباع المحامين الشرعيين واحتيالهم .

[1] نفسها، ص ص 42-43

[2] سليم بابا عمر، محمد المويلحي، حديث عيسى بن هشام ،طبعة جديدة، وزارة الثقافة الجزائرية 2007 ، ص 157

وفي كلّ ما سبق ذكره في جانب الوصف نجده يستعمل السجع والطباق والجناس والشعر شأنه شأن الرحالة القدماء، وفي وصفه للطب والأطباء يقول :

" ومدار الأمر كلّه على حسن الاهتداء للتمييز بين النافع والضار والتفريق بين الطيب والخبيث، ولا تتوهمن أيضا أنني أتناول بكلامي جماعة الأطباء قاطبة فان فيهم الصالح كما أن فيهم الطالح..".[1]

وفي قوله" هذا وصف لجشع الأطباء ولهفتهم على جمع الأموال دون معرفة منهم بالدواء المناسب للمرض ودون حتّى تشخيّص حالة المريض تشخيصا صحيحاً [2]وقد قارنهم مع أطباء الصين ، وقال إن الصينيين أحسن منهم و شبههم بأهل الصناعات الآلية، وبين طريقتهم في كسب المال بقوله " فهو يدخل على المريض طامعا في ماله لا طامعا في شفائه، فيحتال له أنواع الحيل لتطول مدته في المرض فيتسع نصيبه في الأجرة، فيعطيه من أصناف الأدوية ما لا ينفع ولا يضر، أستغفر الله بل ما يضر ولا ينفع ليبقى المريض في حاجة دائمة إلى تجدّد العيادة والزيارة..".[3]

أما في الرّحلة الثانية وهي الرّحلة إلى باريس فقد أتاح الفرصة للمنيكلي لمشاهدة معالم المدنية في الغرب، وعند عودته إلى مصر تغيرت نظرته لمفهوم المدنية الغربية واقتنع بأنها ليست شرا خالصا وأنه يمكن الأخذ منها بما يتوافق وعاداتهم وتقاليدهم وطباعهم، فيمضي في ذلك واصفا معالمها ويتعجب وينبهر بشوارعها شاكرا رب العالمين على تيسيره لهاته الرّحلة، وقد شبه ذلك بيوم العيد .

كما يصف الشارع ويشبهه بالبحر المرتفع الأمواج في علوه ("فإذا نظرت إلى الشارع في العلو، لم تبال بالغلو : إن قلت : بحر مسجور،'ا' قام عليه شاطئان من نور، وإذا أبصرته من أسفله عند أوله،

[1] الرواية، ص139.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه .

قلت أسراب الدواب تصعد إلى الجو بين الكواكب الزهراء من كرات الكهرباء ، والبيوت عن حافتيه تشارف جو السحاب وتحاول أن تعلق من السماء بأسباب فارعة باسقة متلاصقة متناسقة " . [1]

فنلاحظ من خلال هذا الوصف استعمال الكاتب للعناصر الأدبية مثل: السجع من خلال الكلمات" العلو والغلو ، الزهراء والكهرباء، السحاب وأسباب ، متلاصقة ومتناسقة " كذلك عنصر التشبيّه حين شبه الشارع بالبحر في ارتفاعه " وهو في حواره وشخصياته وحوادثها يستمد من الواقع المحلي ونظم بيئته المصرية ، إلا أن ذلك كلّه وضع في إطار المقامة الضيق بسجعه" [2].

كما نلاحظ محاولته الأغراب باللّفظ الفصيح على طريقة بديع الزمان الهمذاني والحريري في مقاماتهما وذلك في الكلمات" المسجور، نور" بغية الوصول إلى المستوى الأدبي المطلوب كذلك الأمر في وصف الباعة إذ يقول : " وأصناف الباعة يكثرون من الغدو والرواح ويهيجون في النداء والصياح بمثل العواء والنباح ، دائبين في الإلحاف والإلحاح " .[3]

ثم يمضي مسترسلا في وصف المدنية الغربية ويمزج كلامه بأبيات من الشعر ويتصنع السجع بقوله : " هذه هي اليوم بيت العلم والفضل ودار السلام والعدل ومعهد الحق والإنصاف ومهد الاتحاد والائتلاف هذه هي المدرسة الّتي يشرق منها على العالم شمس الهدى والعرفان ويتلقى الإنسان عنها حقوق الإنسان...أولئك الناس إن عدوا بأجمعهم ومن سواهم فلغو غير معدود والفرق بين الورى جمعا وبينهم كالفرق ما بين معدوم وموجود[4].

[1] محمد المويلحي ، الرواية ، ص 264

[2] الدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر .مرجع سابق ص 241.

[3] الرواية ص265

[4] نفسه ، ص 266

و نلمس من خلال وصف الأمكنة وجه الحقيقة في رحلة المويلحي حيث أنها أماكن حقيقية وقد وصفها بصفات موجودة فيها فعلاً حيث نجده ينتقل في باريس بعين راصدة لكل ما مر به ويمضي معه المنيكلي وينطلق إلى وصف المعرض في جماله واتساعه وارتفاعه في قوله:

"قال عيسى بن هشام : وانطلقنا نقصد عكاض الممالك والأمم . وسوق الاقدار والهمم، ومشهد النفائس والعظائم. ومظهر القوى والعزائم، وحلبة الابتكار والابتداع وميدان الانشاء والاختراع ..."[1].

وفي حديث عيسى بن هشام سرد عن طريق الوصف وتوظيف السجع على نحو سابقيه وذلك في الكلمات " الأمم والهمم، العظائم والعزائم، الابتداع والاختراع، ثم يفيض في الوصف في قوله : " ولهذا المعرض خمسون بابا تختلف ابتعادا واقترابا، فبلغناه من ناحية الباب المعظم والمدخل المقدم، فإذا الباب قبة تقوم على ثلاث قوائم، تلامس بعلوها الغمائم كأنها اليفاع في الاتساع والارتفاع "[2]، مستخدما فنا جماليا وهو الطباق في كلمتي" ابتعادا واقترابا ". والسجع في" الاتساع والارتفاع "والتشبيه في "كأنها اليفاع" والغريب في كلمة" اليفاع" وهو التل المرتفع، وهذا ما يتميز به المويلحي من أسلوب عديم النظير يستهوي القراء وبراعة فائقة وإنشاء رفيع وأسلوب بليغ يتضمن لغة جد ثرية ينمقها من حين لآخر بالسجع وشواهد من الشعر فيأتي وصفه معبرا عن كلّ ألوان الحياة المعيشة آنذاك. ثم يصف انطباع الباشا وهو يتأمل ويحدق ويتعجب في طريقة تشييدهم للمباني واجتهادهم في التوسع، ويرجع الزمن بالمويلحي إلى حالته التّي كان عليها في مصر حين كان يزور القبور ويتأملها كيف كان أصحابها وكيف أصبحوا ويقارنها بالقصور كيف هي؟ وكيف ستصبح بعد فترة من الزمن؟ فيقول على لسان الباشا:" ولو تيقن ابن آدم أن القبر غايته لم تخفق على القصور رايته ولكان همه بحفر القبر أعظم من همه بتشييد القصر، فمقامه هناك طويل وبقاؤه هنا قصير، ولو علم أن هذه

[1] الرواية، ص274.

[2] المصدر نفسه، ص275.

الأحجار المذهبة في الشرفات العالية لا تلبث أن تنتقل صفائح في القبور البالية، لم يعمل عمل المخلدين ، وهو بين أظفار المنايا رهين . وأنشد يقول :

تبني المنازل أعمار مهدمة * من الزمان بأنفاس وساعات.**[1]

ثم يواصل سرد رحلته واصفا القصر الصغير من خلال قوله :" قال عيسى بن هشام : وكنا وصلنا في هذه الأثناء إلى باب أحد القصرين المشار إليهما .. فدخلنا فإذا هو ببنائه وتشييده وزينته وزخرفه ونقشه ورسمه يفوق كثيرا من قصور الملوك والقياصرة ... .[2]

ثم أخذ طريقه إلى القصر الكبير، ووصفه بأبهى حلة ونعته بالآية الكبرى، كما نعت القصر الصغير بالمعجزة الصغرى. ونراه قد أبدع في وصفه لهما لحسن صنيعهما وجمالهما واحتوائهما على الكنوز وقال في معنى قوله أنه لو وزعنا تلك الكنوز على الخلق لما بقي محروم على وجه الأرض، ومن الأماكن التي وصفها كذلك، وما يدل على واقعية الرّحلة وتجسيدها نجده يصف الأشجار والأزهار الموجودة فعلا هناك وقد أعجب بقصر الأشعار والأزهار أيما إعجاب وذلك من خلال قوله: "قال عيسى بن هشام : ودخلنا معرض الأشجار، وبستان الأزهار في قصر لم يبن بناء القصور والديار ولم تشد أركانه بالشيد فوق الأحجار، ولم ترتفع بالآجر حجره وغرفه ولم تتخذ من الخشب أبوابه وسقفه ، بل عقدت له القباب والأبراج من صقيل البلور وسبيك الزجاج ، فهو صرح ممرد من قوارير، كأنه لجة يم أو صفحة غدير ... هنالك تستبيك الوان الأزاهر بما يزري بلمعان الجواهر، فما الياقوت عندها والزبرجد وما الفيروز والزمرد ...". [3]، حيث يتعجب في خلق الله ويقول إن يد الإنسان لن تصل إلى صنيع الخالق مهما أبدعت أو صنعت، وقد شبه تلك البساتين بالجنة والروضة الغناء وأنشد بين التوحيد :

[1] الرواية ، ص 277

[2] المصدر نفسه، ص280 .

[3] المصدر السابق، ص292 .

ففي كلّ شيء له آية تدل على أنه واحد

ثم يذكر ابن الرومي وهو شخصّية حقيقية وهو شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي، ويقول إنه لو تأمل تلك الأشجار والأزهار لخلع رداء الفخر والتيه ولما استطاع أن يصفها أو يشبهّها ولحرق ديوانه بكبريته المذكور في تشبيهّه المشهور في قوله:

ولازوردية تزهو بزرقتها *** بين الرياض على حمر اليواقيت**

كأنها وضعاف القضب تحملها*** أوائل النار في أطراف كبريت.[1]**

ثم ينتقد غش الحكام وأرباب الأعمال عند رغبتهما في رصد القمر على بعد متر واحد كما يزعم أصحابها ثم يكتشفان أن كلّ ذلك كان كذبا وغشا من أجل كسب المال والنهب والاحتيال، وقد أطلقوا عليها اسم المعجزة الكبرى، ثم ينصرف ويقول إن هؤلاء الحكام وأرباب الأعمال لم يكفهم الغش في السياسة والاستعمار، بل وصل بهم إلى الكواكب والأقمار.[2]

[1] محمد المويلحي، الرواية ،ص 293

[2] الرواية ص452.

2-التأريخ للرحلة: توصيف للزمان والمكان والشخصيات:

تتميز الرّحلة الواقعية بزمان ومكان وشخصيات معينة وفعلية، وهذا ما نلمسه في رحلة المويلحي وذلك بذكره لحقيقة تاريخية وهي مرض الطاعون الذي حل بأهل مصر بقوله " ابتدأ الطاعون في شهر رجب سنة 1205 وداخل النَّاس منهم وهم عظيم واشتد بطشه وقويّ بأسه في رجب وشعبان ومات به من لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمراء ، ومات من الصناجق أمراء الألوف اثنا عشر صنجقا منهم اسماعيل بك الكبير .. واستمر فتكه إلى أوائل رمضان فمات الأغا والوالي في أثناء ذلك .. "[1].

كذلك بالنسبة لشخصية البطل فهي شخصية حقيقية وهو أحمد باشا المنيكلي ناظر الجهادية الّذي توفي سنة 1850، والّذي أخذ يرحل معه إلى أرجاء مصر ليكتشف الباشا أنَّ كلّ شيء قد تغير بعد رحيله ، ثم إلى باريس ليكتشف معالم المدنية الغربية وكان وصفه لهاته الأماكن والشخصيات حقيقيا .

كما ذكر كذلك" مسبك المدافع" وقال إنه "يمثل أعظم المسابك في فرنسا تطل منه أعظم أسطوانة للمدفع في العالم"[2] ،كذلك وصف" برج ايفل" وهو برج شهير موجود في باريس بالقرب من نهر السين وهو حديدي ويبلغ ارتفاعه 324 مترا، بقوله :" يرتفع هذا البرج عن سطح الأرض بثلاثمائة متر، وهو من الحديد الخالص، ويبلغ وزنه تسعة ملايين كيلو جرام، وعدد قطعه الّتي يتركب منها اثنا عشر ألف قطعة. والخطاطيف فيه مليونان ونصف وله من العمر عدة سنوات ، وبلغ دخله من الصاعدين فيه في أثناء المعرض الماضي سبعة ملايين فرنك ، ولو تم لأهل العصور الماضية بناء مثله لكان الثامن للآيات السبع "[3].

[1] الرواية ، ص ص170- 169.

[2] نفسها ،ص 484 .

[3] نفسها، ص 316

وفي هذا نلمس وصف وتأريخ وتحديد دقيق للمعالم.كذلك في وصفه للمعجزات من أعمال البشر والأماكن والشخصيات والتفصيل في شرحها وذلك في قوله : "وإن أبيتم إلا أنَّ أحدثكم حديث المعجزات من أعمال البشر. فهي الأهرام ، والحدائق المعلقة وسور بابل، وتمثال جوبيتير، وصنم رودس وهيكل إيفيز ومدفن الملك موزول"[1] ثم يطنب في شرحها والتعريف بها كلّ واحدة على حدة ومن صنعها وتاريخ إقامتها وأداة صنعها.

3-وصف العادات والتقاليد:

نجد أن الكاتب تناول وصف عادات وتقاليد الأماكن الّتي زارها ومنها أن من عادات أهل مصر عند المشي في الليل أن يحفظوا كلمة سّر الليلة من أجل أن يسمح لهم بقضاء أشغالهم باللّيل حيث تعطى هاته الكلمة لمن يطلبها من الحكومة سرا وتتغير كل ليلة ، فليلة تكون كلمة عدس وليلة تكون خضار وليلة تكون حمام وهكذا .

ومن عاداتهم في الأعراس إقامتهم للأعراس للشهرة والصيت وليست لإئتناس صاحب العرس بأصحابه وأصدقائه ولإطعام المساكين ومساعدة الفقراء، ومن عاداتهم كذلك في الولائم والمآدب خروجهم مباشرة من الوليمة بعد غسل أيديهم من تناول الطعام عاملين يقوله تعالى : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾، وفي هذا اقتباس من القرآن الكريم جاء به الكاتب لخدمة الموضوع ،فالكاتب يصف المجتمع المصري بتفصيل كبير، كذلك ما ذكره عن العادات في باريس وقال إنهم يهتمون بفن التصوير اهتماما كبيرا ، فيقيمون التماثيل لأربابهم وعظمائهم وكلّ ما يعجبون به.

[1] الرواية ،ص490.

4- الاقتباس من القرآن الكريم :

يظهر لنا المويلحي من خلال سرده لمقاماته أنه رجل واسع الثقافة مطلع على أحوال عصره ، ملما بالشريعة الإسلامية وذلك من خلال اعتماده في كل مرة على الاقتباس من القرآن الكريم ، وهذا سبب رئيس لزيادة مصداقيتها وواقعيتها ويتجلى ذلك في قوله في وصف المدينة الجديدة" ارم ذات العماد، الّتي لم يخلق مثلها في البلاد "[1].كذلك في قوله في وصف الأشجار والأزهار . "ومازلنا في هذه الروضة الغناء والجنة الفيحاء نردد قول العبد الصالح الأواه : "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلاَّ بالله " [2]كذلك في قوله في المعجزة الثامنة في تعجبه بصنع البرج المنيع في قوله : " فأين من ارتفاعه الهرمان ، ومن علوه صرح هامان ، لما أمره فرعون بقوله في كفره وعناده وجحوده وإلحاده: " يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا " ولو رآه فرعون لهدم ما شاء وأعلى، ولم يقل، أنا ربكم الأعلى ".[3]

وبالتالي نجد أن المويلحي يتبع ما أرساه الهمذاني من تقاليد في القرن الرابع الهجري ويستخدم وسيلة أدبيّة من خلال شكل قصصي كلاسيكي حيث يستخدم الاقتباس والسجع مثل في قوله في وصف البرج المنيع: " وقفنا نشاهد ذلك البرج المنيع، والعماد الرفيع"[4] مع فالسجع في كلمتي' المنيع والرفيع 'زاد المعنى جمالاً،كما لا ننسى أنه استعار من الهمذاني بطل مقاماته عيسى بن هشام فجعله بطل روايته أيضا.

[1] الرواية ، ص 265.
[2] نفسه ص 292.
[3] نفسه ص 315
[4] نفسه .

I- مواطن التخييل:

تتبع رواية حديث "عيسى بن هشام " للكاتب محمد المويلحي أسلوبا مبتكرًا في الأدب العربي حيث مزج بيّن السّرد القصصي والنقد الاجتماعي والسياسي. استطاع صاحبها من خلالها أن يخلق مشاهدا وصورًا من وحيّ الخيال. مقارنة بالزمن الّذي عاش فيه، لكن الشخصيَّات لها رمزيّة باعتبارها موجودة تاريخيًا، فقد ألف المويلحي هذا الخطاب الإبداعي المتميّز الّذي أخذ هيئة المقامة شكلاً واشتمل من الحكاية مضمونًا ، ومن الخطاب السّردي رحلة خياليّة ذات أبعاد وأهداف .[1]

تبدأ الرّحلة بخروج أحد باشات مصر المتوفين من قبره، ومقابلته راوي هذه القصة ، ثم قيامهما سويًا برحلة تفقديّة لأحوال الدنيا، وما انتهت إليه .[2]

لقد كانت وصفًا شيّقًا ودقيقًا لثقافة عصرين إنها رحلة ولو أنها خيالية إلاَّ أنها تشكل في نظرنا ضربًا من اثنوغرافيا الواقع .

ولدراسة عنصر التخييل في رواية حديث " عيسى بن هشام " يمكننا الوقوف على النصّوص والمواقف وتحليل الأحداث والشّخصيات.

لتوضيح كيفية استخدام التخييل كأداة سّردية ونقدية وتشويق على العناصر التالية :

1.الشَّخصيات التخيّيلية :

– الباشا العائد من الماضي : لا بد من التميز بين الشخص والشّخصيّة فالباشا شخص حقيقي له وجود في زمن معيّن، وهو العصر المملوكي، اتخذه المويلحي ليكون شّخصيّة تمثل القيّم والأخلاقيات القديمة مما يجعله أداة لانتقاد الفساد والتدهور في المجتمع الحديث .

[1] أمينة سعد جلال ، تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي، حديث الافتراء على الوطن أنموذجا– مقالة جامعة سكيكدة .
[2] د. حسين محمد فهم ، أدب الرحلات .

2.الأحداث والمواقف التّخييلية :

– السفر عبر الزمن : لم يقم المويلحي برحلة حقيقية بل رحلة خيالية حيث سافر عبر الزمن ليسمح للشخصيّات بالتحرك بين العصور مما يتيح له عرض التغيرات الاجتماعيّة والسياسيّة بطريقة واضحة إذ انصدم الباشا وجعل يدعو الله على ما آل إليه المجتمع : " اللهم عفوك وصفحك " .

هل قامت القيامة وحان الحشير على مصري أمر " .[1]

3.المواقف اليوميّة المعاصرة :

يضع المويلحي الباشا في مواقف بوسيلة تعكس الفساد الإداري والاجتماعيّ مثل مشهد الباشا ، وهو يحاول فهم نظام المحاكم الحديثة، إذ يعكس فساد القضاء وبيروقراطيّة النظام الإداري ، إذ يراها السلطة العليا الّتي ..... لها أمرّ ، وقوله " ما هذا الخلط ؟ وما هذا الحنطُ ؟ .

وسبحان الله ، هل أصبح المصريون ... لعنَّ الله الشيطان " .[2]

4.اللّغة والأسلوب الأدبي :

يستخدم المويلحي لغة متقتة تمج بين الفصحى والعاميّة ، مما يعكس التغيرات اللّغويّة والثقافيّة فمن العامية وردت العديد من المفردات منها ما تعلق بالأسماء أو الرّتب، أو الأماكن (الباشا – البوليسي – المكاري – تسيخ الحارة – ما ديموازيل فلانة).

[1] الرواية، ص 26

[2] المصدر نفسه ، ص 38

5. الحوار :

الحوار بين عيسى بن هشام والباشا مليء بالتخيّيل حيث يعبر عن آراء المويلحي حول قضايا عصره ، مثل التعليم والعدالة والفساد والتغييّر الاجتماعي، وهو الحوار الّذي يمّكن الشّخصيّات من منافسة وتحليل الأوضاع الراهنة بطريقة مبتكرة وجذابة .

فالحوار الّذي دار بينهما حوّل المحكمة الأهلية .

الباشا : " قد كان العهد بالمحكمة الشّرعيّة ، وبيّن القاضي على غير ما أدى فهل أصابها الدهر فيما أصاب بالتغيير والانقلاب ؟ ".

عيسى بن هشام : " هذه هي المحكمة الأهلية لا المحكمة الشّرعيّة " .

الباشا : " وهل للقضاء بيّن النَّاس غير المحكمة الشّرعيّة " ؟ .

عيسى بن هشام : " للقضاء على هذه البلاد على ما تشتهي حاكم متعدّدة ، وضحا ليس متنوعة".[1]

من خلال ذلك نستنتج أن هناك تداولية في الحوار وهو ما أتى بها العالم الأمريكي بول غرايس **Paul.Grice** الّذي اكتشف أن أي عملية تواصلية يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التعاون، ذلك المبدأ الّذي يرتكز على المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمان قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه ضمن الموقف السياقي الوارد فيه .[2]

ولعل عنوان النّص الروائي " حديث عيسى بن هشام " يحمل في معناه تبادل الكلام مع الغير، إذ الحديث لا يكون إلاَّ بوجود طرفين ، وهما المتحدث والسامع له، ولا تحصل فائدته إلاَّ بتداوله، وهو ما جعل الحوار ينجح في بناء خطاب سّردي.

[1] الرواية، ص ص 37-38

[2] أمينة سعد جلال ، راوية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي مقالة ، جامعة سكيكدة.

6. الزمان والمكان مؤطران للسرد:

ا/ الزمان : تدور الأحداث في أواخر القرن التاسع عشر مما يسلط الضوء على تأثير الاستعمار في تلك الفترة على المجتمع المصري وحدث حدوث تغيرات اجتماعيّة وسياسية ، إذ استخدمت الأحداث التاريخيّة كخلفية لتقوى الشخصيّات .

فالزمن هو المادّة الخام الّتي يتشكل بواسطتها العمل الأدبي والفنّي ، فلا يمكن تصور أحداث دون ربطها بالزمن فبواسطة الزمن يستطيع ربط الأحداث الواقعية أو الخياليّة[1]، ومن هذا استطعنا التمييز بين أحداث رواية حديث "عيسى بن هشام " للمويلحي الّتي كان الزمن محرّكًا لها .

ب/ المكان :

1.**القاهرة كمكان مركز** : القاهرة هي مدينة تجسّد صورة المجتمع المصري في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أما الأماكن الشّعبيّة والأسواق فتعكس الفوارق الاجتماعيّة والثقافيّة بيّن الطبقات المختلفة .

2.**الأماكن العامة والخاصة** : الأماكن العامة مثل المقاهي والميادين تُستخدم كرموز للتفاعل الاجتماعي والنقاشات السياسية والثقافيّة ، أما الأماكن الخاصة مثل المنازل فتعكس الحياة الخاصة واليوميّة للأفراد ، والتغيرات الّتي تطرأ على المجتمع ، فالإنسان ابن مجتمعه بعث أرضه ويرتبط بها ارتباط الجسد بالروح ، لذا نجد المويلحي أكثر التصاقا بأرضه ، ومدينته وأحيائها ، إذ يعرّف حسن بحراوي المكان فيقول : " إنَّ تعيين المكان هو الثورة الضرورية الّتي تدعم الحكي وتنهض به، في كلّ عمل تخييلي" .[2]

وقد اعتمد المويلحي الوصف والتفصيل بشكل دقيق للأماكن لجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش التجربة بنفسه، فبتناول وصف الشارع والبيوت والأسواق والمقاهي إذ هناك تنوع مكاني مما يضفي تنوعًا على السّرد فالأماكن تتراوح بين الريف والمدينة مما تعكس التنوع الثقافي والاجتماعي.

[1] ابتسام حمودة ، خديجة فاقة :البنية السردية في رحلة أبي الدلف ، مذكرة ماستر ، جامعة محمد الصديق بن يحي.

[2] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي.

7.مسار الرّحلة :

تبدأ الرّحلة بلقاء بين الراوي " عيسى بن هشام " وشخصية "الباشا" الذي يخرج من قبره ثم يصطحبه " عيسى بن هشام " في رحلة عبر القاهرة الحديثة ، حيث يستعرضان أحوال المجتمع، والتغيرات الّتي طرأت على البلاد. فيريان المدارس والمحاكم والمقاهي والأسواق ثم ينتقلان بين عدّة مشاهد تصف الحياة اليومية في القاهرة ، ثم يعود الباشا إلى قبره مستخلصًا العبر من رحلته في مصر الحديثة .

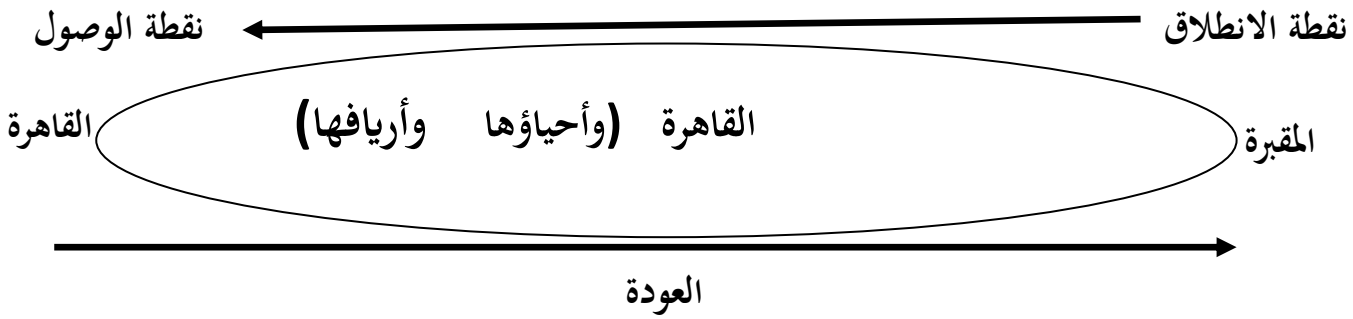

وقد مرّت رواية المويلحي بخمس مراحل متخيلة وهو ما تقتضيه الحكاية النموذجيّة .

1.مرحلة الاستقرار:

تبدأ الرواية بوضع مستقر حيث يقوم الراوي " عيسى بن هشام " بزيارة المقابر ، ويلتقي بشخصيّة الباشا المملوكي ، الّذي يستيقظ من قبره ويعود إلى الحياة وتم تقديم الشّخصيّات والبيئة في سياق هادئ ومستقر .

2.مرحلة الاضطراب :

يبدأ الاضطراب حين يشرع الباشا في استكشاف المجتمع المصري الحديث، بعد استيقاظه تتصاعد الأحداث فيصاب بالدهشة والاضطراب . مما يعكس الصراع بين الماضي والحاضر .

3.مرحلة التحوّل :

مرحلة التحول تحدث عندما يبدأ الباشا في التفاعل مع الواقع الجديد ويحاول فهمه ، ويمثل هذا التحول في رؤية الباشا للتغيرات السياسية والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي حدثت في مصر ومحاولته التأقلم مع هذه التغيرات فيبدأ في إدراك الفروقات الجوهريّة بيّن مجتمعه القديم والمجتمع الحديث.

4.مرحلة الحل :

يبدأ الحل عندما تقبل الباشا الواقع الجديد ، ويشرع في تكوين فهم أفضل للمجتمع الحديثة ، يتعلم من مشاهداته وتجاريّة ، ويبدأ في التوصيل إلى استنتاجات حوّل طبيعيّة التغييرات الّتي شهدتها مصر.

5.مرحلة الاستقرار مجدَدًا :

تبدأ الرّحلة الخيالية بنوع من الاستقرار حيث يعود الباشا إلى قبره، بعد أن عاش تجربة مليئة بالتغييرات ، يُظهر هذا الاستقرار النهائي نوعًا ما في التسليم بمرور الزمن والتغيرات الّتي تطرأ على المجتمعات ، مع تقديم رؤية متكاملة لتجربة الباشا.

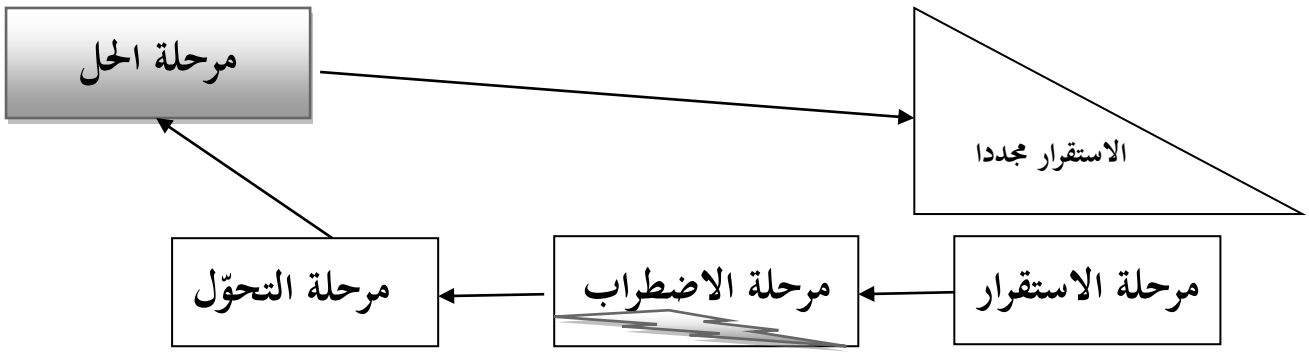

استنتاج:

تمكن المويلحي من خلال رحلته الخيالية في رواية " حديث عيسى بن هشام " من توظيف أسلوب سّردي مميّز بالاعتماد على عناصر الخيال الّتي تمثلت في الإطار السّردي الّذي منح مساحة كبيرة للخيال مع استخدام شخصيات كرموز للفئات الاجتماعيّة والتيارات الفكريّة مع الاعتماد على الخيال النقدي لنقد المجتمع المصري .

كما اعتمد على الوصف الّذي عزز من جاذبيّة القصة فأضفى عليها طابعا سحريا.

II- غاية الكتاب وقيمته العلمية والأدبية:

حديث عيسى بن هشام عبارة عن قصة في شكل مقامة تروى على لسّان شخص خيالي يدعى عيسى بن هشام ، والطريقة الأدبية التّي اختارها الكاتب للتوصل إلى غايته هي سرد قصص خيّالية ضمنها وصف للمجتمع المصري بمختلف طبقاته على شكل مقامات وقد ذكر في كتابه بعض من كان لهم الفضل في تكوينه ومن تأدب بأدبهم وهم أبوه وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، واللّغوي الشّنقيطي والشّاعر البارودي حيث يقول في إهدائه لكتابة "إلى كلّ من يقرأه من أديب يجد فيه طرفا من الأدب وعالم يبصر فيه شّذرة من العلم ولغوي يصادف فيه أثرا من الفصاحة، وشاعر يشعر فيه بمثل طيف الخيال ولطف الخيال " [1]،ونظرا للفائدة العظيمة من الكتاب ودوره في تنشئة جيل يتميز بفصاحة اللّسان ولغة سليمة خالية من الشوائب فقد ("قررته وزارة التربية والتعليم على طلبة المدارس عام 1927 وجاء بتقريرها عنه ما نصه "وحديث عيسى بن هشام إذا دخل في المطالعة لطلبة المدارس الثانوية أفادهم أجل الفائدة من ناحية ما يأخذهم به من بلاغة الكلام .

وسلامة القول، والصيغة الطريفة الّتي تناولت كثيرا من الأسباب الدائرة بين النَّاس، وهو ما يعوز جميع الكتب الّتي وضعت في عصور متقدّمة إلى ما يفسح في ملكاتهم ويطبعهم على دقة الملاحظة

[1] حديث عيسى بن هشام، أو فترة من الزمن، محمد المويلحي،مؤسسة هنداوي، بتاريخ 26/01/2017، نسخة عام 2013 ، ص7.

وقوّة التعبير وتدبير ألوان الاحتجاج لطرفي الموضوع الواحد " فهو يعالج الحياة المعاصرة بعكس الكتب القديمة ويتغلغل في أوساط المجتمع"[1] فالكتاب يهدف إلى وصف الحياة في الحاضر وفي أزمنة سبقت وقته ، واعطاء دروس في الدين والدنيا وقد قال فيه إيهاب الملاح " ثمة ' كتابة على كتابة' تعيد إلى نصوص مهما مر عليها من زمن فإنها تظل بفضل خصائصها التكوينيّة وجدة طرحها الاجتماعيّ، ورؤيتها الفنيّة المتميزة جديرة بأن نعود إليها من آن لآخر، وأن نتذكر حضورها الجمالي والابداعي، ونعيد التذكير بها، ولفت انتباه الأجيال الجديدة إلى أهميتها وقيمتها"[2]. ففي مضمون المقامة نقدا اجتماعيا، وهذا ما اتخذته الرواية الحديثة في مصر. "لقد تبينت فيه الوزارة أنه بخلاف الكتب القديمة يعالج الحياة المعاصرة، وما طرأ عليها من تغيير في فترة من الزمن، وينتقد أوجه الفساد، ويشير إلى النقص ويتهكم بانحراف في الطبع والسلوك، ولقد دل على ما يتمتع به المويلجي من قوة ملاحظة وشدّة تغلغل في صميم الحياة، وبخاصة حياة الدواوين التي ترتبط ارتباطا قويا بمصالح الجماهير".[3]

نصّ الرّحلة وموضوعها :

جاء نصّ الرّحلة في كتاب محمد المويلحي كما يلي :(" حدثنا عيسى بن هشام قال : رأيت في المنام كأني في صحراء ' الإمام ' أمشي بين القبور والرجام في ليلة زهراء قمراء يستر بياضها نجوم الخضراء ، فيكاد في سنا نورها ينظم الدر ثاقبه ويرقب الذر راقبه، وكنت أحدث نفسي بين تلك القبور، وفوق هاتيك الصخور، بغرور الإنسان وكبره، وشموخه بمجده وفخره، واغراقه في دعواه وإسرافه في هواه، واستعظامه لنفسه ونسيانه لرمسه، فقد شمخ المغرور بأنفه حتّى رام أن يثقب به الفلك، استكبار لما جمع واستعلاءها بما ملك، فأرغمه الموت فسد بذلك الأنف شقا في لحده، بعد أن وارى تحت صفائحه صحائف عزه ومجده . ومازلت أسير وأتفكر، وأجول وأتدبر حتّى تذكرت في خطاي فوق رمال الصحراء ، قول الشاعر الحكيم أبي العلاء :

[1] عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، المرجع السابق ، ص132.

[2] إيهاب الملاح، خواطر حول " حديث عيسى بن هشام ، 2022 ، ص ص 07-16

[3] عمر الدسوقي ، المرجع السابق، ص132.

خفف الوطء ما أظن اديم ~~~ إلاّ من هذه الأجساد.

قبيح بنا وان قدم ~~~ العهد هوان الآباء و الأجداد

سر أن استطعت في الهواء رويدا ~~~ لا اختيالا على رفات العباد فقرعت سن الندم

وخفقت وطئ القدم ... "[1] ثم يذهب إلى ذكر محاسن النساء كيف كانت وكيف أصبحت بعد الموت ويتعجب في جبروت الرحمن وسّر الحياة والموت . ثم يكمل حديثه وهو يتأمل في تلك الأموات والرفات و العظام من بقايا الملوك العظام بقوله : " وبينما أنا في هذه المواعظ والعبر وتلك الخواطر والفكر. أتأمل في عجائب الحدثان وأعجب من تقلب الأزمان ، مستغرقا في بدائع المقدور، مستهديا للبحث في أسرار البعث والنشور، إذا برجة عنيفة من خلفي، كادت تقضي يحتفي، فالتفت التفاتة الخائف المذعور، فرأيت قبرا انشق من تلك القبور وقد خرج منه رجل طويل القامة، عظيم الهامة، عليه بهاء المهابة والجلالة ورواء الشرف والنبالة فصعقت من هول الوهل والوجل .

صعقة موسى يوم دك الجبل ولما أفقت من غشيتي وانتبهت من دهشتي . أخذت أسرع في مشيتي ، فسمعته يناديني، وأبصرته يدانيني فوقفت امتثالاً لأمره، واتقاء لشره ، ثم دار الحديث بيننا وجرى على نحو ما تسمع وترى بالتركية تارة والعربية أخرى قال الدفين : ما اسمك أيها الرجل، وما عملك وما الّذي جاء بك ؟ فقلت في نفسي : حقا إن الرجل لقريب العهد بسؤال الملكين فهو يسأل على أسلوبهما .

فاللهم أنقذني من الضيق، وأوسع لي في الطريق لأخلص من مناقشة الحساب وأكتفي شر هذا العذاب ثم التفت إليه فأجبته :عيسى بن هشام : اسمي عيسى بن هشام ، وعملي صناعة الأقلام ،وجاءت هنا لأعتبر بزيارة المقابر، فهي عندي أوعظ من خطب المنابر" [2].

[1] حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، المصدر السابق، ص ص 13-14.

[2] حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، المصدر السابق ، ص ص 15 - 16.

ثم دار الحديث بينهما ، ثم أخذه في رحلة عبر أرجاء مصر ثم إلى باريس، واكتشف معه الباشا أو الدفين كل التغيرات التي طرأت على هاتين المكانين

خاتمة

نخلص من خلال بحثنا هذا إلى أن الرّحلة من قديم متجذر في الأدب العربي كما يعتبر من أصدق الفنون : فقد بدأ التأريخ للرحلات العربية المكتوبة من القرن التاسع ، وتحفل صفحاتها بالجليل من الفوائد . فهي تقدم لنا وثائق حية عن حياة الناس في زمن ما ، وقد استطاعت رحلة المويلحي أن تنقل لنا شيئا عن واقع الحياة في مصر في فترة من الزمن . كذلك المدنية الغربية في باريس ومدى تأثيرها على العرب آنذاك . كما وضعت لنا بعض أوجه المقارنة بين الحضارتين ، فنص حديث عيسى بن هشام تتداخل فيه الأنواع السردية القديمة من مقامات وأدب رحله ومسرح ونادرة .

غلبت على نص المويلحي لغة السرد العربي وأساليبه فهو مزيج من التراث العربي وثقافة الغرب نتيجة إلمام المويلحي بالثقافات المختلفة ، وقد تأثر بمضمونه الكثير من الأدباء. فهو يميز بين جوانب التراث من جهة ومعالم التجديد من جهة أخرى إذ يعتبر بمثابة حلقة وصل بين الأدب العربي القديم و والأشكال الفنية الجديدة، ويعتبره الكثيرون محاولة غير ناضجة للرواية العربية ،كما يمكن الإشارة إلى أنه قد أفصح عن أوجه الإبداع في الأدب العربي، وقد اتسم أسلوبه الأدبي بصفاء الديباجة ووضوح اللفظ وإحكام النسج واستخدام السجع على طريقة القدماء كل هذا جاء في قالب قصصي على شكل رحلة حقيقية في ثوب خيالي ، فالرّحلة في كل الحالات تجربة يحياها الرحالة من أجل هدف فردي أو جماعي لتحقيق فائدة للمجتمع والناس سواء أكانت حقيقية أم خيالية،أما منهجه الذي اتبعه فلم يقتصر على وصف المدن و الشعوب وعلى المحتوى الاثنوجرافي وإنما وجد أيضا العنصر الأدبي متمثلا في حسن التعبير وجمال اللفظ ويتجسد ذلك من خلال وصفه لأحوال مصر في الماضي والحاضر ومعالم المدنية الغربية ومدى تأثيرها في المجتمع المصري.

ونخلص إلى أن قيمة الرحلات تتمثل في كونها مصدرا لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس في مكان معين خلال فترة زمنية معينة.

كما أن أدب الرّحلة يسمح بخلق مجالا للمقارنة بين شعبين في مكانين مختلفين أوشعب واحد في فترتين زمانيتين،وتقييم نظمهم وتقاليدهم وذلك لا يتم إلا بالاختلاط ومعايشة الشعوب المختلفة والاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم ونظام حكمهم،لذلك تزاوج الرّحلة بين عالمين الماضي والحاضر ،وبين حياة الدنيا وحياة الآخرة وإذا كان المعري قد انتقل من عالم الأحياء إلى عالم الآخرة فإن المويلحى استدعى الأموات لكي يعودوا إلى عالم الأحياء مستلهما قصة أهل الكهف ومعارضا أسلوب المقامات.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

1- محمد المويلحي:حديث عيسى بن هشام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2003

المراجع:

الكتب

1. حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي.المركز الثقافي العربي،ط1، 1990.

2. حسني محمود حسين ، أدب الرّحلة عند العرب دار الأندلس ، بيروت، ط2 ،عام 1983.

3. حسين فهيم ،أدب الرحلات. ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 138 يونيو /1989

4. حسين نصار، أدب الرّحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر.

5. سعيد يقطين:الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، المركز الثقافي العربي، المغرب 1997،

6. سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون. ، منشورات الاختلاف، ط1، 1433هـ ،2012م.

7. سليمان العطار، الخيال عند ابن عربي (النظرية والمجالات) ، (د،ط) ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة 1991

8. شعيب حليفي. الرّحلة في الأدب العربي ،كتابات نقدية 121 ،2002 .

9. شكري محمد عياد، القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط2. 2009م .

10. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر ،مكتبة الدراسات الأدبية ،4دار المعارف، الطبيعة 10، ص234

11. شوقي ضيف، الرحلات، الطبعة الرابعة ،دار المعارف القاهرة

12. صلاح الدين الشامي ، الرّحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأة المعارف ، الطبعة2 ، 1991،

13. عبد الوهاب شعلان السرد العربي القديم، اتحاد الكتاب، ع 412 ، س 35، آب2005.
14. عمر الدسوقي ، نشأة النثر الحديث وتطوره ، القاهرة دار الفكر العربي، 2007ميلادي.
15. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض1417 /1996م،
16. الغزالي مشكاة الأنوار في توحيد الجبار،دار الفكر اللبناني.بيروت،1994
17. فؤاد قنديل ، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة، الطبعة1
18. محمد الجوهري وعلياء شكري: مقدّمة في دراسة الأنثروبولوجيا، ، دار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة ط1 ،2008م
19. نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرّحلة الأندلسية و المغربية، حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار المأمون،الأردن،2008
20. يوسف وغليسي ،في ظلال النصوص تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور،الجزائر،2009

المعاجم:

1. أحمد زكي بدر :معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، ، ساحة رياضي الصلح، بيروت، 1987م
2. ابن منظور :لسان العرب ، دار صادر ،بيروت ،1414هـ
3. مجدي وهبة ،كامل المهندس، معجم المصطلحات الغربية في اللّغة والأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع.
4. معجم المعاني الجامع ، معجم عربي عربي . https://www.almaany.com/ تاريخ الإطلاع 12\3\2024
5. المعجم الوسيط، مطبعة مصر 1961،

المجلات:

1. مجلة الهلال، العدد7السنة83، يوليو1975.
2. عالم الفكر، مجلد 13 ع4، يناير،فبراير، مارس 1983
3. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية 2024 .
4. روابط الكترونية:
5. ابتسام حمودة ، خديجة فاقة :البنية السردية في رحلة أبي الدلف ، https://theses-algerie.com/7841000789519821/memoire-de-master/universite-mohammed-seddik-ben-yahia-jijel
6. د إيناس محروس بوبس، ماذا تعرف عن أدب الرّحلة.؟ https://www.aljazeera.net/blogs
7. أمينة سعد جلال ، تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي، حديث الافتراء على الوطن أنموذجا، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/163382
8. سديرة سهام :أدب الرّحلة الماهية ،البنية والشكل https://www.asjp.cerist.dz/en/article/34319
9. سماح بن خروف :بين الاثنوغرافيا وأدب الرّحلة ، مفارقة اصطلاحية https://www.aranthropos.com
10. مختار السعيدي لعجال ، مدخل إلى الرّحلة وعلاقتها بعلم الأثنوجرافيا ، دراسات تاريخية، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/185463
11. محمد رضي الرحمان القاسمي: الرّحلة وأدبها في اللغة العربية دراسة تاريخية دراسات اسلامية https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/author

الفهرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
مقدمة	أ- ب
الفصل الاول	
I- الرّحلة بين قلق المصطلح وتحديد الخصائص	4
8. تعريف الرّحلة :	5
9. مفهوم الرّحّالة :	6
10. أهداف الرّحلة :	7
11. دوافع الرّحلة وأغراضها	4
12. أنواع الرحلات	9
13. خصائص أدب الرحلات	10
14. مفهوم الأثنولوجيا وعلاقتها بأدب الرحلات	11
II- مفاهيم اصطلاحية:	15
1- التجسيد في الرّحلة	16
2-فن الوصف في الرّحلة :	17
3- الخبر في الأدب العربي وتجليات السرد	17
4- من الرّحلة الواقعية إلى الرّحلة الخيالية	21
III – تركيب (أدب الرّحلة بين التجسيد والتخييل) :	26
الفصل الثاني: حديث عيسى بن هشام بين التجسيد والتخييل	
I- المويلحي بين ثقافتين	28
II- رواية حديث عيسى بن هشام للمويلحي	29

III- مواطن التجسيد في رواية محمد المويلحي:	33
1-الوصف	33
2-التأريخ للرحلة	42
3-وصف العادات والتقاليد	43
4-الاقتباس من القرآن الكريم	44
IV- مواطن التخييل	45
1-الشَّخصيات التخيّيلية	45
2-الأحداث والمواقف التّخييلية	46
3- المواقف اليوميّة المعاصرة	46
4- اللّغة والأسلوب الأدبي	46
5- الحوار	47
6- الزمان والمكان مؤطران للسرد:	48
7- مسار الرّحلة	49
V- غاية الكتاب وقيمته العلمية والأدبية	51
خاتمة	56
المصادر والمراجع	59
الفهرس	

الملخص :

يعتبر فن الرّحلة قديم قدم الانسان اذ عرفها منذ زمن بعيد ، وقد بدأ التأريخ لها منذ القرن 19 وقد ساعدت الرّحلة على اكتشاف موطن الإنسان ومدى انتشاره في بقاع الأرض. ورغم اختلاف دوافع السفر وتنوع مواد ووساءل الرّحلة فهي تصور بدرجة كبيرة بعض ملامح حضارة أو عصر ما سواء كانت الرّحلة فعلية أو خيالية ، فبواسطة المنهج الأنثروبولوجي التحليلي استطاع المويلحي أن يكشف لنا عن جانب من جوانب الحياة في مصر وباريس في فترة زمنية محدّدة .

ويعتبر كتابه من الكتب التأسيسيّة للرواية العربية حيث خاطب الأدباء والخواص وقدم للعامة منهجا يرتقي بالنفس الإنسانيّة ويرفع من كرامة الفرد ،كلّ هذا في إطار فني بديع ولغة موسيقية اتسمت بطرافة السجع وعلامة التركيب معا.

حيث يتعرض من خلال رحلته إلى وصف واقع معاش وهو احوال مصر وأخلاق الناس في المجتمع ومعاملاتهم وتقييمها، وطبيعة علاقاتهم في الطبقات الاجتماعية المختلفة، فيتحدث عن طبائع الناس ونقائص الأخلاق وعيوبهم داعيا الى تجنبها ، وينتقد المجتمع المصري والتغييرات التي طرأت على الإصلاحات في الفترة الأخيرة من الامبراطورية العثمانية في النظام القضائي والشرطة والتعليم والمسرح و مسألة الأصالة والحداثة بالنسبة للمدينة الغربية في فرنسا وكل هذا في قالب خيالي من خلال تجول عيسى بن هشام في مقبرة للتأمل ويواجه باشا عثماني بعث من بين الأموات ، ثم يدور الحديث بينهما ويأخذه في رحلة عبر مصر وباريس.

ويعتبر كتابه عملا مميزا للنثر العربي وينقسم الى قسمين يقوم الأول صراع ومقارنة بين ماضي مصر وحاضرها والصراع بين الانواع الكلاسيكية والتقاليد الناشءة من الخيال العربي الحديث، أما القسم الثاني بيصف المدنية الغربية ومدى تأثيرها في العرب وقد نشر في وقت لاحق في شكل كتاب في عام 1907 حيث يأخذ الراوي الى باريس لزيارة المعرض العالمي لعام 1900 حيث ينتقد المجتمع

الأوربي وحداثته ودور الامبريالية الغربية في جميع أنحاء العالم، ليكتشف أنها مصدر البلاء ثم يقتنع في الأخير أنها ليست كلها شر ، وانما يمكن أن نستفيد منها بما يخدم قيم مجتمعنا العربي المسلم.

Summary:

The art of travel is considered as old as man, who has known it for a long time. Its history began in the 19th century, and travel helped discover man's homeland and the extent of his spread throughout the earth. Despite the different motives for travel and the diversity of materials and means of the trip, it largely depicts some features of a civilization or era, whether the trip was actual or imaginary. Using the analytical anthropological approach, Al-Muwailihi was able to reveal to us an aspect of life in Egypt and Paris in a specific period of time.

His book is considered one of the foundational books of the Arabic novel, as he addressed writers and the elite and presented to the public an approach that elevates the human soul and raises the dignity of the individual, all of this within a wonderful artistic framework and a musical language characterized by the humor of assonance and the sign of composition together.

Through his journey, he describes the lived reality, which is the conditions of Egypt, the morals of people in society, their dealings and evaluation, and the nature of their relationships in the different social classes. He talks about the natures of people and the shortcomings of morals and their defects, calling for them to be avoided. He criticizes Egyptian society and the changes that occurred due to the reforms in the last period of the empire. Ottomanism in the judicial system, the police, education, theater, and the issue of authenticity and modernity in relation to the western city in France, and all of this is in a fictional form through Issa bin Hisham wandering in a cemetery to meditate and confronting an Ottoman pasha resurrected from the dead, then the conversation takes place between them and takes him on a trip through Egypt and Paris.

His book is considered a distinctive work of Arabic prose and is divided into two parts. The first is a conflict and comparison between Egypt's past and its present and the conflict between the classical genres and the emerging traditions of the modern Arab imagination. The second section describes Western civilization and the extent of its influence on the Arabs. It was later published in book form in 1907, where The narrator takes him to Paris to visit the Universal Exhibition of 1900, where he criticizes European society, its modernity, and the role of Western imperialism throughout the world. He discovers that it is the source of affliction and is finally convinced that it is not all evil, but rather that we can benefit from it in a way that serves the values of our Arab Muslim society